أساليب التدريس في مدرسة النجف الاشرف الطوسي "أنموذجا"

رسالة تقدمت بها الى

مجلس كلية التربية / ابن رشد /جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات

نيل درجة ماجستير طرائق تدريس القرآن الكريم

مياس ضياء باقر

اشراف

المشرف التربوي أ . م . د . مقداد اسماعيل الدباغ

المشرف العلمي أ . م . د ايمان كمال مصطفى

١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م

ملخص الرسالة

تناولت هذه الدراسة اساليب التدريس في مدرسة النجف ، الطوسي انموذجا وشملت خمسة فصول : -

الفصل الاول :

تناولت الباحثة في الفصل الاول اهمية البحث وذلك بالرجوع الى التراث العربي الاسلامي ، لأن أي امة لاتستطيع ان تسير الى الى وعت جذورها في تراثها وربطت بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها . فقد ترك لنا الاجداد تراثا فكريا عربيا اسلاميا كبيرا ، ومع ذلك فان امتنا تعاني من حالى الاغتراب الفكري والتربوي .

اذن هناك حاجة ضرورية لحياتنا الفكرية والثقافية والتربوية ، تلح مطالبة بضرورة الاهتمام بالتراث العربي الاسلامي ، لن ماتركه السلف الصالح من ثقافة وعلوم وفكر يشكل اساس الثقافة العربية الاسلامية المعاصرة .

وهذه الدراسة كشفت عن مدرسة عريقة تخرج منها الاف العلماء والمفكرين والمجتهدين ، افادوا العالم العربي والاسلامي بما قدموه من فكر وعلم ، وبينت اساليب التدريس في هذه المدرسة وكشفت ايضا عن صاحب هذه المدرسة العريقة الذي يعد من الشخصيات الاسلامية التاريخية العظيمة التي لها تأثير واضح في العالم العربي والاسلامي وله اساليب متميزة في التعليم ، والتي حاولت الباحثة الكشف عنها بما يخدم نظامنا التربوي في الوقت الحاضر .

وتتجسد مشكلة هذه الرسالة بعدم وجود دراسة لمدرسة النجف الاشرف واساليب التدريس فيها ، وعدم وجود دراسة تبين اساليب تدريس عالم جليل هو الشيخ الطوسي ، الذي يعد من مؤسس هذه المدرسة العريقة .

هدف البحث

يهدف البحث الحالي التعرف على اساليب التدريس في مدرسة النجف الاشرف الطوسي أنموذجاً .

منهجية البحث

انتهجت الباحثة منهج البحث التاريخي الوصفي .

حدود البحث

يقتصر البحث على اساليب التدريس في مدرسة النجف في القرن الخامس الهجري ، والطوسي انموذجا لهذه المدرسة .

الفصل الثاني

ويتالف من مبحثين : -

الاول : المنهج العلمي والتعليمي للرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وبينت بعض معالم نهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في التعليم ثم بينت المدرسة في الاسلام وقد ضمت (مفهوم المدرسة ، الدراسة وتدريس الحضارة العربية الاسلامية) الاماكن التعليمية في الحضارة العربية الاسلامية ، أهداف التعليم والتي هي الهف الديني ، الدنيوي ، العلمي ، واداب التعليم ، فهناك اداب تتعلق بالشيخ واداب تتعلق بالطالب واداب تتعلق بالدرس .

الاخر : دراسات سابقة :

حاولت الباحثة جاهدةً الحصول على دراسات سابقة لها صلة بالبحث الحالي او تحمل الفكرة نفسها ، لكن لم تعثر على ذلك بشكل مباشر ، لذلك عرضت الباحثة دراستين تخصان الشيخ الطوسي ، الاولى بعنوان الشيخ الطوسي ، والاخر منهج الطوسي في التفسير لذا فان موضوع البحث الحالي لم يتطرق له احد

الفصل الثالث :

وتناولت الباحثة فيه مدرسة النجف الاشرف وتاريخها .

والاساتذه في مدرسة النجف الاشرف ، والطلاب ، وشخصية الطالب في هذه المدرسة التي تتسم في الاستقلالية ، والتعمق ، وحرية الاجتهاد بالرأي ، والاحتكاك الفكري .

وتناولت ايضاً منهج مدرسة النجف في تنظيم شؤون طلبتها ، العلوم التي درست في هذه المدرسة ، والمراحل الدراسية التي يمر فيها الطالب ، فالطالب في مدرسة النجف يمر بثلاثة مراحل هي : – مرحلة دراسة المقدمات ومرحلة دراسة السطوح ومرحلة البحث الخارج ، واسلوب التدريس في كل مرحلة من هذه المراحل ، والامتحان أو التقويم في مدرسة النجف .

الفصل الرابع :

تناولت الباحثة فيه الشيخ الطوسي حياته وأساليب تدريسهِ .

الفصل الخامس :

تناولت الباحثة فيه الاستنتاجات ، والتوصيات ، والمقترحات ، وكانت كالاتي :

نتائج الدراسة : توصلت الباحثة الى : –

١ . الاهتمام الكبير الذي حظي به حقل التربية والتعليم ، وأساليب التدريس لدى العرب المسلمين ، مستلهمين ذلك من منهج الرسول

(صلى الله عليه واله وسلم) ، فقد أهتم بالتعليم أهتماماً كبيراً .

٢ . ان التعليم عند المسلمين العرب لم يكن عفوياً ، بل كلن وسيلة لتحقيق اهداف نبيله ، وان مسيرة التعليم عند العرب المسلمين لم تترك من دون منهج ضابط ، بل استنبط لها العلماء المسلمون اداباً تعد من افضل الاخلاق .

٣ . كان للشيخ الطوسي اساليب عدة في تدريس تلامذته ، مثل اسلوب المحاضرة والمناقشة ، والتحليل ، والحوار ، والتقويم .

٤ . تبين لنا ان اساليب التدريس الحديثة هي اساليب مستوحاة من العلماء العرب المسلمين ، وليست كما يقال انها مستوحاة من علماء الغرب .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رب اشرح لي صدري . ويسر لي امري .

واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولـي .

صدق الله العلي العظيم

سورة طه /٢٥ -٢٨

الإهداء

إلى حبيب النفوس، وأنيس القلوب،ألى حبيب الله ونجيبه، محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، والى آهل بيته الطيبين الطاهرين (عليهم السلام) .

إلى أبي وأمي (رحمهما الله)حبا وعرفانا .

إلى زوجي ورفيق دربي حبا وإخلاصا .

إلى أهلي وآسرتي وفاءا .

إلى مهجة قلبي ابنتي رند .

اهدي عملي المتواضع سائلة الباري عز وجل حسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وهو ولي بالتوفيق والقبول .

مياس.....

اقرار المشرفين

نشهد بان اعداد هذه الرسالة، المسومة بـ(اساليب التدريس في مدرسة النجف الاشرف ، الطوسي "انموذجا ")
التي تقدمت بها طالبة الماجستير مياس ضياء باقر ، قد جرت تحت اشرافنا في كلية التربية / ابن رشد / جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير (طرائق تدريس القران الكريم والتربية الاسلامية) .

المشرف

التوقيع

مقداد اسماعيل الدباغ

التاريخ

المشرف

التوقيع

أ.م.د

أ.م.د ايمان كمال مصطفى

التاريخ

توصيه رئيس قسم طرائق تدريس القرآن الكريم والتربية الإسلامية بناءً على توصية المشرفين أرشح هذهِ الرسالة للمناقشة .

التوقيع

د. فاخر جبر مطر

رئيس قسم طرائق تدريس القرآن الكريم

والتربية الإسلامية

الحمدُ لله الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، لامضاد لهُ في ملكهِ ولامنازع لهُ في أمرهِ ، الذي لاتنقص خزائنهُ ولاتزيدهُ كثرة العطاء الاّ كرماً وجوداً أنه هو العزيز الوهاب .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين والوسيلة الى رضوان الله حبيب الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

بكل أعتزاز وتقدير أتقدم بجزيل الشكر الى مشرفي الدكتور مقداد إسماعيل الدباغ ومشرفتي الدكتورة أيمان كمال مصطفى على ماقدماهُ لي من توجيهاتهما القيمة وملاحظاتهما التي كانت خير معين وخير مرشد اقتديت بها في أنجاز الرسالة.

وأتوجه بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل الدكتور كامد الزيدي والدكتور فاضل فاخر جبر مطر والدكتور الفاضل علاوي سادر جازع والدكتور الفاضل ثائر الدباغ ، لمتابعتهم المثمرة وتوجيهاتهم القيمة .

وأتقدم أيضاً بالشكر والتقدير الخاص الى الشيخ الدكتور علي عبد الحسين المظفر لتوجيهاتهِ القيمة وتزويدهُ لي بالمصادر التي أستفدتُ منها في إعداد رسالتي .

وأشكر أيضاً الدكتور الفاضل عبد الرحمن الهاشمي والدكتور حسن القيسي إلى ماأبدوهُ لي من مساعدة .

ولايفوتني ان ارفع وافر الشكر والتقدير الى أبي العزيز وزوجي الحبيب وعمتي وأختي منارس لمساندتهم لي ووقوفهم إلى جانبي .

وأشكر أيضاً صديقاتي أسماء ورنا وضمياء وأنتصار حامد وعادلة ويسرى .

وأتوجه بالشكر أيضاً الى رجاء عباس وبشرى عباس والى هبة وهند والى سلوى علي والمهندس صادق رحيم .

وأشكر أيضاً السيد عادل حمود والأخ علي خضير والأخ علي قاسم الأخوان حيدر وسداد .

والى كل من أسهم بمشورة أو رأي أو ملاحظة أقدم لهم جميعاً شكري وتقديري .

عباس.....

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث بالغة العربية	
الفصل الاول	
مشكلة البحث	١-٣
أهمية البحث	٤-٥
هدف البحث	١٠
حدود البحث	١٠
منهج البحث	١٠
تحديد المصطلح	١١
الفصل الثاني	
المبحث الاول:الاطار النظري :المنهج العلمي والتعليمي للرسول(صلى الله عليه واله وسلم)	١٢-٢٠
المدرسة في الاسلام:ا-مفهوم المدرسة، ب-الدراسة والتدريس في الحضارة العربية الاسلامية	٢٢-٢٣
اولاً-الاماكن التعليمية في الحضارة العربية الاسلامية	٢٤
ا-البيوت	٢٥
ب-المساجد	٢٦-٢٧
ج-الكتاتيب	٢٧-٢٨
د-حوانيت الوراقين	٢٨
هـ-القصور	٢٩
و- مكتبات العامة	٢٩
ي-المدارس	٢٩-٣١
ثانياً : اهداف التعليم وآدابهِ عند العرب المسلمين	٣٢
الهدف الديني ، الهدف الدنيوي ، الهدف العلمي	٣٢
آداب التعليم	٣٣
أولاً : مايتعلق بآداب الشيخ	٣٣-٣٦
ثانياً : مايتعلق بآداب الطالب	٣٦-٣٧
ثالثاً : مايتعلق بآداب الدرس	٣٨-٣٩
المبحث الثاني : دراسات سابقة	٤٠
أولاً : دراسة الحكيم ، حسن عيسى	٤٠-٤١
ثانياً : دراسة الزيدي ، كاصد	٤١-٤٢

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث	
المبحث الاول : مدرسة النجف الاشرف ، تاريخها	٤٣-٤٥
الاساتذة في مدرسة النجف الاشرف	٤٦-٤٧
الطلاب في مدرسة النجف الاشرف	٤٨
شخصية الطالب في مدرسة النجف الاشرف	٤٩
١. الاستقلالية	٤٩
٢.التعمق	٤٩-٥٠
٣.حرية الاجتهاد بالرأي	٥١
٤.الاحتكاك الفكري	٥١-٥٢
منهج مدرسة النجف الاشرف في تنظيم شؤون طلبتها	٥٣-٥٤
العلوم التي تدرس في مدرسة النجف الاشرف	٥٥-٦١
المبحث الثاني : مراحل الدراسة في مدرسة النجف واسلوب التدريس فيها	٦٢
المرحلة الاولى : مرحلة دراسة المقدمات	٦٢-٦٤
المرحلة الثانية : مرحلة دراسة السطوح	٦٥-٦٧
المرحلة الثالثة : مرحلة البحث الخارج	٦٧-٧٠
الامتحان أو التقويم في مدرسة النجف الاشرف	٧١-٧٣
الفصل الرابع	
المبحث الاول : التعرف على الشيخ الطوسي ، أسمهُ ، لقبهُ ، ولادتهُ ، نشأتهُ	٧٤-٧٧
أولادهُ	٧٧
منزلتهُ عند العلماء	٧٧-٧٩
شيوخ الطوسي	٧٩-٨٠
تلاميذ الشيخ الطوسي	٨١-٨٢
ثقافة الشيخ الطوسي	٨٢-٨٤
مؤلفاتهُ	٨٦-٨٩
وفاتهُ	٨٩-٩٠
الحياة السياسية والثقافية في عصرهِ	٩١-٩٣
المبحث الثاني : اساليب التدريس عند الشيخ الطوسي	٩٤-١٠٣
الفصل الخامس	
الاستنتاجات	١٠٥-١٠٧
التوصيات	١٠٨
المقترحات	١٠٩
المصادر	١١٠-١٢١
الملخص بالغة الاجنبية	A-D

الفصل الأول

تعريف البحث

اولا-مشكلة البحث

ثانيا-أهمية البحث والحاجة إليه

ثالثا-هدف البحث

رابعا-حدود البحث

خامسا-منهج البحث

سادسا-تحديد المصطلحات

الفصل الاول

اولا-مشكلة البحث :-

وجدت في الساحة الفكرية وفي حقب متتالية دعوات واستغاثات من هنا وهناك، داعية إلى العودة إلى أصولنا العربية الإسلامية الممثلة بحضارتها العريقة ، وذلك احساسا بأنَّ ضعف الاهتمام بهذا الجانب كما يرى المفكرون يؤدي إلى أزمة حادة في فكرنا التربوي المعاصر تتمثل بالقدر الكبير منها إلى ميل الأمة نحو اتجاهات وتيارات فكرية وثقافية وافدة تجعلها تعش مرحلة خطيرة من مراحل تطورها التاريخي وابتعادها في بناء شخصيتها عن هويتها الثقافية المميزة، بما طبع ذاتها بالجفاف الروحي والتمزق الداخلي والاضطراب الخلقي والتبعية الفكرية والركض وراء الأساليب التعليمية والتربوية الغربية وطرائقها المستلهمة والمصممة أصلا على وفق رؤيتها وفلسفتها المادية المحصنة مما ادى بالتالي إلى تغريب الإنسان العربي المسلم وتشويه بنائه الفكري والروحي.(١١٩-المشايخي:ص ٧)

وعلى الرغم من كل هذا التراث الفكر العربي الإسلامي الكبير الذي تركه الأجداد إلاَّ أنَّ امتنا الآن تعاني من حالة الاغتراب الفكري والتربوي، إذا نلاحظ ان هناك تيارات فكرية في مجتمعاتنا الذين تأثروا بالفكر الغربي أمثال (سلامة موسى) الذي قال في مقدمة كتابه (اليوم والغد) "يجب علينا ان نخرج من اسيا وان نلحق بأوربا، فاني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني واني منها) (١٢٣-موسى:ص ٧).

ومن جهة أخرى يرى كثيرون من مفكري الأمة انَّ المجتمعات العربية والإسلامية تعاني من تبعية عمياء لأساليب الفكر الغربية، إذ نقلت من بلدانها وكرست في أوطاننا. (٩٢-الغبان : ص١).

ويشير كثير من رجال الفكر العرب الى مسألةعدم وضوح فلسفة تربوية عربية منهم(لطفي بركات) ، إذ يقول"إلى ان غياب فلسفة تربوية عربية أصيلة أدى إلى استيراد فلسفات تربوية أجنبية غير ملائمة لتراثنا العربي وحاضرنا ومستقبلنا باستثناء بعض رواد النهضة لمحاولات فردية أمثال (محمد عبده والطهطاوي وإسماعيل القباني وساطع الحصري) (٩٢ – الغبان ص ١).

ولأهمية الوعي لموضوع التراث الفكري العربي الإسلامي، فقد كان هناك الكثير من الإشارات وجهود عدد واسع من الدراسات والمؤثرات والندوات بينت أهمية دراسته من جوانبه المختلفة وعلى سبيل التمثيل :-

المهرجان (الألفي لذكرى ابن سينا)	بغداد ١٩٥٢
مهرجان (عبد الرحمن الكواكبي)	القاهرة ١٩٦٠
مهرجان (الغزالي)	دمشق ١٩٦١
مهرجان (ابن خلدون)	القاهرة ١٩٦٢
مهرجان (ابن حزم)	قرطبة ١٩٦٣
مهرجان (ابن تيمية)	مصر ١٩٦٣
مهرجان (الفارسي)	بغداد ١٩٧٥
مهرجان (ابن رشد)	بغداد ١٩٩٨
المؤتمر الدولي عن (ابن رشد)	مصر ٢٠٠٢

كما أوصى المؤتمر الفكري الثاني للتربويين العرب ببحث الفكر في التراث العربي "الذي اتخذ شعاراً للمؤتمر" الذي عقد في بغداد (١٩٧٨)، فكانت التوصية الثالثة له عقد المؤتمر الثالث تحت شعار (نحو نظرية تربوية عربية)، وانَّه ينبغي

مراجعة التراث العربي في ضوء حاجات حاضرنا ورؤى مستقبلنا لكي يكون قوة دفع للمجتمع. (٧٠-الشيخاني: ص ٤-٥).

فالحاجة ملحة وضرورية لحياتنا الفكرية والثقافية والتربوية التي تفرض نفسها كقدر في هذا العصر، تلح مطالبة بضرورة الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي.

وعلى أساس ذلك تحاول الباحثة تسليط الضوء على جانب كبير من الأهمية في تاريخ الفكر التربوي العربي الإسلامي متمثلاً (بأساليب التدريس في مدرسة النجف... الإمام الطوسي أنموذجا) وبما جاء بهِ صاحب هذه المدرسة العريقة من أساليب متميزة في التعليم ومحاولة الكشف عنها بما يخدم نظامنا التربوي في الوقت الحاضر.

لذلك جاء اختيار (الشيخ الطوسي ٣٨٥-٤٦٠هـ) من بين أولئك الرجال ذوي المشاريع الفكرية والحضارية للإطلاع على مشروعه الذي يعد بهِ من مؤسسي المدارس العلمية في العالم الإسلامي في القرن الرابع والخامس الهجريين، ومن مثبتي الأصول التعليمية الإسلامية في مدرستي بغداد والنجف العلميتين ، والذي تعتقد الباحثة أَنَّهُ واحد من ابرز محطات التاريخ العربي الإسلامي التي لها تأثير في العقليه التربوية والمنهجية إلى يومنا هذا.

ثانيا-أهمية البحث :-

عندما ينظر الإنسان إلى تاريخ التربية يرى مطالب الإنسان في المجتمعات البدائية، كانت لاتعدو إشباع حاجاته من طعام وملبس ومأوى، وحماية نفسه من العوامل الطبيعية وتجنب الأذى. لذا كانت العملية التربوية تتم في الطبيعة عن طريق مصاحبة الصغار للكبار في أعمالهم، وتقليد هؤلاء الصغار للعادات السائدة لدى أسرهم، والتدريب بصورة تدريجية على الأعمال والنشاطات التي يقوم بها الكبار كالصيد والبحث عن المأوى. (١١٢- محمود: ص ١٨).

وفي هذا السياق لم تكن للإنسان في مراحل تاريخه الأولى مدارس للتعليم المقصور، وإنما كانت عملية المحاكاة والتقليد هي الأسلوب المتبع في توصيل خبرات وقيم الكبار إلى الصغار. وهذه العمليات كانت تتم في الغالب بصورة عفوية وغير مقصودة. (٨٧ – العراقي: ص٢٠).

ويستدل من هذا بأنَّ السمات المميزة للعملية التربوية في بدايتها من حيث المحتوى والأسلوب كانت تتميز بالهدف الوظيفي والطريقة المباشرة استجابة لمطالب الحياة وطبيعتها آنذاك.

وعندما تراكمت المعارف لدى الإنسان وازدادت خبراته، وتحسنت حياته الاجتماعية، ونمت مداركه ونظرته للحياة والكون بشكل عام، انتقل من مرحلة البداوة والتجوال إلى مرحلة الاستقرار والاتصال بالآخرين، مما زادت حاجته إلى مدارس تدار من خلالها عملية إعداد الأفراد ليؤدوا دورهم في خدمة مصالح المواطن في جميع جوانب الحياة. وكان لتلك المدارس وسائلها الخاصة يتم عن طريقها إكساب الأفراد الخبرات والمهارات اللازمة لمواجهة مواقف الحياة المطلقة.

إنَّ ما قدمته المدارس على مر العصور من خلال أنشطتها ومناهجها المتنوعة كانت تهدف بالأساس إلى سد حاجة ألأجيال المتعاقبة من معارف

وخبرات ومهارات من أجل اعداد الفرد للحياة على وفق فلسفة المجتمع واتجاهاته السائدة والتي تميزه عن سواه من المجتمعات من حيث العادات والتقاليد والقيم والأنظمة السياسية والمؤسسات الاجتماعية.

فالتربية عند الإغريق التي استمر تأثيرها على المجتمعات قاطبة إلى يومنا هذا، قد جمعت بين مظاهر الحياة العقلية والجسمية والجمالية والأخلاقية، اذ كان لديهم منهاج عرف فيما بعد بالفنون السبعة الحرة (The seven Liberal Arts)، إذا كانت مكونة من الخطابة والنحو والمنطق والهندسة والحساب والموسيقى والفلك.

وقد كان تعليم هذا المنهاج مقتصراً على المواطنين الأحرار ، وكانوا قلة ولم تنل الطبقات الأخرى (الدنيا) أي نصيب منها، وذلك لطبيعة التركيب الطبقي للمجتمع اليوناني. (٦٥- سمعان: ص ٤).

أما في الدولة العربية الإسلامية، فقد حاولت التربية التوجه إلى تنمية الفكر الإنساني وانطلاقه، تحريره من الجهل، وتنوير عقله بالعبر والدروس، وحثه على التأمل والنظر في دقة الكون وأنظمته. (١٠٣- القرشي: ص ٢٢٨).

وقد حث القرآن الكريم الناس على القراءة وطلب العلم، وجاء في مواضع كثيرة من القرآن الكريم التنويه بمنزلة العلم والعلماء وطالبي العلم، قال تعالى "هلَ يَستَوُيَ الذَيَنَ يَعلَموُنَ والذَينَ لا يَعلَموُنَ" (الزمر/ ٩) وقال تعالى" يَرفَعُ الله الذِينَ آمَنَوُا منكُمَ والَذِينَ أوُتَوا العَلَمَ دَرَجَات" (المجادلة / ١١).

ولعل الاهتمام بالعلم كما جاء في القرآن الكريم لكون الإيمان الحقيقي لا يكن إلا مع العلم، قال تعالى "إنَما يَخشَى اللهُ مِن عبادِهِ العُلمَاءَ" (فاطر/ ٢٨).

أما الرسول محمد (ﷺ)، فقد كان يهتم غاية الاهتمام بطلب العلم وتشجيع العلماء، وكان الرسول الكريم (ﷺ) يحث أصحابه على تفهم دينهم ودنياهم، فقد قال الرسول محمد (ﷺ) "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة... وان العلماء ورثة الأنبياء" (١٣١-النيسابوري: ج٨:ص٧١) .

وكان التعليم في زمن الرسول (ﷺ) و من بعده الخلفاء الراشدين يتناول أساساً ألقراءة والكتابة في إطار حفظ الآيات القرآنية وأدراك معانيها، ومع القراءة

والكتابة كان أبناء المسلمين يتعلمون قواعد اللغة العربية، ولما توسعت الدولة العربية وامتد سلطانها وبخاصة في القرن الرابع الهجري وما تلاه، فقد فتح الله على الأمة الإسلامية الفتوحات الفكرية والعلمية، فغصت بالعلماء والمفكرين، إذ احتلوا مكانة عظمى في المجتمع وذلك لمثابرتهم في طلب العلم في صفوف شتى ومنهم (الخوارزمي، وابن سينا، وابن الهيثم، وغيرهم)، وقد اهتم هؤلاء العلماء بمختلف صنوف المعرفة وما حوته الفلسفة والمنطق والطبيعيات والرياضيات وما تفرع من ذلك من طب وصيدلة وكيمياء وحساب وجبر وهندسة وفلك وغيرها وتمكنوا من ترجمة بعض الكتب المهمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية حتى نشطوا في تحقيق مسائلها وشرحها ومناقشتها. ثم قاموا بالكتابة والتأليف في مجال العلوم المختلفة، وتركوا تراثاً من أمهات الكتب مما كان له اثر بالغ في بزوغ النهضة في بلاد الغرب والشرق. (١١١- محمود: ص ٢٠). كذلك تميزت العصور الإسلامية بظهور المدارس والأماكن التعليمية في مدنها وأقاليمها، ومن اشهرها المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية في بغداد والمدرسة الناصرية في القاهرة والمدرسة النورية الكبرى في دمشق، ومدرسة النجف الأشرف في العراق.

فالمدرسة النظامية، يذكر السبكي إن نظام الملك الوزير السلجوقي قد أنشأ مدارس عدّة في البلاد الأسلامية منها (بغداد، وبلخ، واصفهان، والبصرة، والموصل)، على أنَّ نظامية بغداد كانت أولى واهم المدارس النظامية، وقد أنشئت(عام ٤٥٠ هـ) وتم بناؤها بسنتين. واختصت هذه المدرسة بتعليم الفقه

وهي أول مدرسة رسمية اعترفت بها الدولة، ووفد أليها طلبة العلم من أرجاء البلاد الإسلامية لينهلوا من منابع العلم والمعرفة فيها.

أما المدرسة المستنصرية فقد أنشئت في بغداد على يد الخليفة العباسي المستنصر بالله عام ٦٢٦ هـ وقد زودت بساعة من نوع المزملة وجهزت بالحمامات والمطابخ كما كان فيها مستشفى ودار للكتب وكان الهدف الرئيس لهذه المدرسة هو تدريس الفقه ودراسة المذاهب الدينية المختلفة. (٣٩ – الحلي: ص ٦٧).

وأما المدرسة الناصرية، فقد أنشئت في القاهرة في عهد الأيوبيين وقد بناها السلطان زين الدين كتبغا المنصوري، وأتمها السلطان محمد بن قلاوون سنة (٧٠٣)هـ. وقد وصف المقريزي في خططه بأنها من أجمل مباني القاهرة وبأنها من أعجب ما صنعته يد البشر. (٣٩ – الحلي:ص٧٦).

وأما المدرسة النورية الكبرى، فأنها أنشئت في عهد نور الدين محمود زنكي في مدينة دمشق عام ٥٦٣هـ، وقد ضمت هذه المدرسة مرافق عديدة منها الإيوان الذي يرادف (قاعة المحاضرات) بالتعبير المعاصر ومسجداً، ومساكن للطلبة (٣٩ – الحلي: ص ٦٨).

أما النجف الأشرف فإنَّ هذه المدينة المقدسة قد احتضنت منذُ زمن يناهز الألف عام، مدرسة للدراسات الإسلامية العالية في مجالات الفقه، والأصول، والتفسير، والفلسفة الإسلامية، وما يتصل بذلك من شؤون العقيدة والفكر الإسلامي، فوجود مرقد الإمام علي (عليه السلام) في هذه المدينة ووجود العديد من العلماء فيها أدى إلى مجيء كثير من رواد العلم والفضيلة اليها يقطعون المسافات الشاسعة ليتزودوا بزاد العلم والمعرفة.

فقد انتشرت حلقات الدرس والبحث منذ ذلك الحين في هذه المدينة الكريمة وتفرغ العلماء والباحثون والتحقيق في شؤون الفكر الإسلامي وتضافرت جهود مباركة في هذا المجال وتشعبت الدراسة إلى مختلف حقول المعرفة مما صح معه ان يطلق على هذه المدرسة اسم (الجامعة النجفية)(٥ – الآصفي: ص ٥٠٤).

فهي تعد من المدارس الفكرية التي ظهرت في التاريخ العربي الإسلامي وإحدى المعالم الحضارية للأمة العربية الإسلامية التي ينبغي على الباحثين من أبناء الأمة ان يولوها عنايتهم واهتمامهم مساهمة منهم في التعريف بإنجازات الأمة عبر مسيرتها التاريخية.

فقد كانت مدرسة النجف الأشرف امتدادا لمدرسة الكوفة، وازدهرت بفعل المنتج الثقافي لمدرسة بغداد. فقد حافظت مدرسة النجف الأشرف على دورها

الفكري منذ نشأتها ولأكثر من ألف عام، وساهمت بدرجة كبيرة وفعالة في أقامة صرح الحركة الفكرية في العراق.

والشيخ الطوسي هو احد العلماء والفقهاء والمجتهدين وهو الذي أسس مدرسة النجف الأشرف، فهو طود شامخ ، انتشرت آثاره العلمية في الأندية الإسلامية وعرفت مآثره الدينية في الأوساط كافة.

إنَّ الشيخ الطوسي عالم مزج العلم بالعمل والقول بالفعل واخلص لله تعالى في نيته وجعل خدمة الدين الحنيف همه وجهده، فهو من الذين سلكوا هذه السبل، واتبعوا أئمة الهدى وجدوا واجتهدوا في نشر الإسلام والعلم والمعرفة، فقد تميز بعقلية وافرة وذهنية واسعة وتمثل لمختلف فروع المعرفة الإسلامية في زمنه.

لذلك يعد الشيخ الطوسي مفخرة العالم الإسلامي بما قدمه من الخدمات الكبرى في سائر المجالات العلمية والدينية. (٣٧- الحكيم :ص١٠-١١).

ولو رجعنا إلى البحث عن أصالة التدريس وأساليبه لوجدنا أنَّ مدرسة النجف الأشرف التي تشرفت بأنْ يكون أحد شيوخها الطوسي منبع الأساليب الفكرية والعلمية المستمده من مدارس الإسلام الأولى التي يمكن الاستفادة منها في وقتنا الحاضر.

فأساليب التدريس تعد من الأدوات الفعالة والمهمة في العملية التربوية ، إذ أنَّها تؤدي دوراً فعالاً في تنظيم المواد الدراسية وفي تناول المادة العلمية ولا يستطيع المدرس الاستغناء عنها ، لأنَّ من دون أسلوب يتبعه المدرس في توصيل المادة إلى الطالب لا يمكن تحقيق الأهداف المرجوة من الدرس سواء أكانت الأهداف العامة أم خاصة، وبما أنَّ الأسلوب يتحدد من الدرس معتمداً على المادة العلمية، المرحلة الدراسية، التلاميذ والأهداف وغيرها من العوامل، وان تفاعل المدرس مع التلاميذ يعتمد على أساليب التدريس التي يتبناها المدرس. (٢- الأحمد :ص٥٥).

فأسلوب التدريس أهم ركن من أركان العلمية التربوية والذي لا يمكن الاستغناء عنه في العملية التعليمية، فإنَّ تصورنا أنَّ العملية التعليمية تتطلب

مدرساً يلقي الدرس وطالباً يتلقى الدرس، وبينهما مادة دراسية فأسلوب التدريس يشكل الركن الرابع في هذه العملية، ونجاح التعليم يرتبط به بشكل كبير، فبأسلوب المدرس المتبع يستطيع أنْ يعالج كثيراً من ضعف الطالب وصعوبة الكتاب وغيرها من المشكلات التعليم.

ومن خلال ذلك يمكن القول أنَّ العملية التربوية تستند إلى ثلاثة أركان رئيسة هي(المنهج المدرسي، والطالب، والمدرس)، وهذه الأركان بحاجة إلى وسيلة ينساب عبرها المنهج وخبراته ، وهي أسلوب المدرس في التدريس التي تعبر عن حالة التفاعل بين المدرس والطالب ، ومن خلال هذا التفاعل يمكن أجراء عملية تقويم للعملية التعليمية كلها.

فأسلوب المدرس في التدريس يساعد على إيصال المعلومات والمهارات إلى المتعلم وتمكينه من استيعابها وتسهل لهُ العملية التعليمية. (٥١- الخوالدة:ص٢٢).

أنَّ مفهوم أسلوب التدريس يمكن إنْ نُعرَّفَهُ (بأنَّه مجموعة الإجراءات والتدابير، أو المسار الذي يسلكه المعلم في عملية التفاعل المتبادل بينه وبين المتعلمين وعناصر البيئة المختلفة، التي يهيؤها المعلم لإكساب طلابه المعارف والمعلومات والخبرات والمهارات والاتجاهات في مدة زمنية محددة هي الدرس) (٥١- الخوالدة :ص٢٢)..

إنَّ أساليب التدريس المتنوعة تؤثر في تحصيل الطلبة، وإنَّ أسلوب التدريس الواحد كافياً لكنه ليس ملائماً لكل مهام التعليم، وإنَّ المستوى الأمثل لكل أسلوب يختلف باختلاف المرحلة، والمادة، والتلاميذ.

من كل هذا يتبين أنَّ أساليب التدريس لها دور مهم جداً في العملية التعليمية ولا يستطيع المدرس أن يستغني عنها ، لأن من دونها لا يمكن ان تحقق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية.

ثالثا-هدف البحث :-

يهدف البحث الحالي إلى معرفة أساليب التدريس في مدرسة النجف عامة وأساليب الشيخ الطوسي الخاصة.

رابعا-حدود البحث:-

يقتصر البحث على:-

١. أساليب التدريس في مدرسة النجف الاشرف في القرن الرابع والخامس الهجري.
٢. الطوسي انموذجاً لهذه المدرسة.

خامسا-منهج البحث :-

انتهجت الباحثة منهج البحث التاريخي الوصفي.

سادسا-تحديد المصطلح :-

الأساليب:-

للأسلوب مفهومان :- أحدهما لغوي ، والآخر أصطلاحي .

فمن اللغةً ما جاء في المعجم الوسيط، الأسلوب: الطريق: ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا طريقته ومذهبه.

أما الاصطلاحي فالأسلوب يعني طريقة الكاتب في كتابته، ويقال أخذنا في أساليب من القول أي فنون متنوعة. (٩- أنيس :ص ٤٤١).

<u>أسلوب التدريس في الاصطلاح</u>:-

١. عرفه عاقل (١٩٧١): بأنَّهُ "نهج عام ونظامي في العمل وبخاصة في محاولة الوصول إلى الحقائق العلمية". (٨٢- عاقل :ص٧).

٢. وعرفه أبو حطب (١٩٨٦): بأنَّهُ طريقة المعلم في التفاعل مع الموقف التعليمي التي تظهر خصائص الشخصية أو تتفاعل فيها طرائق التدريس وتكتيكاته بحيث يؤدي ذلك إلى ظهور الفروق الفردية بين المدرسين في عملهم داخل المدرسة". (٣٥- أبو حطب : ص١٣١ وص ٣٦).

٣. وعرفه الخوالدة (٢٠٠١) "بأنَّهُ مجموعة الإجراءات والتدابير أو المسار الذي يسلكه المعلم في عملية التفاعل المتبادل بينه وبين المتعلمين وعناصر البيئة المختلفة التي يهيؤها المعلم لإكساب طلابه المعارف والمعلومات والخبرات والمهارات والاتجاهات في مدة زمنية محددة هي الدرس" (٥١- ألخوالدة :ص٢٤٩).

٤. وعرفه مهدي (١٩٩٠): بأنَّهُ: "النمط التدريسي الذي يفضله معلم ما أو هو الأسلوب الذي يتبعه المعلم في توظيف طرق التدريس بفاعلية متميزة عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون الطريقة نفسها. (١٢٢- مهدي :ص٢٤).

الفصل الثاني

المبحث الاول

المنهج العلمي والتعليمي للرسول محمد (ﷺ)

لقد بعث الله نبيه محمد (ﷺ) في أمة سيطر عليها الجهل ، واستولت عليها الخرافة- فصنع بأذن الله منها أمة حاملة الهداية للبشرية أجمع، حاملة منهج العلم، ومنهج التعليم والتفقه. (٥٣- الدويش :ص٢٢).

لقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد (ﷺ) بأنَّه معلم، فقال تعالى "هُوَ آلذّي بَعَثَ فِي ألامّيينَ رَسُولاً مُنهمْ يَتْلوا عَلَيهْم آياتهِ وَيُزُكَّيهمْ وُيُعَلَّمُهمْ آلكَّتابَ وِالحِكْمَةَ وَإنْ كَانوُا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاْلٍ مُبينٍ" الجمعة /٢.

وأمتن على المؤمنين بذلك فقال "لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المْؤُمِنِينَ إذ بَعَثَ فِيهم رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوْا عَلْيِهمْ آياتهِ وَيُزكَّيهِمْ وَيُعَلَّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَإنْ كَانوُا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مبِينٍ" ال عمران/١٦٤.

فكان النبي (ﷺ) في كل فعل يفعله، وكل كلمة يقولها، وكل موقف يقفه، صورة حية لهذا المنهج والفكر التربوي، انطلاقاً من مدرسة القرآن الكريم،لذا فإنَّه وُصِفَ بأنَّه (ﷺ) كان خلقه القرآن الكريم، ثم إنَّه كان المعلم الأعظم في هذه المدرسة الإسلامية التي سن أسسها بنفسه وأمر بها.

ومن بعض معالم نهجه (ﷺ) في التعليم ما يأتي

أولا: إيجاد الدافع للتعلم:

لاشك انَّ للترغيب في العلم أثر كبيراً في إيجاد الحماسة لدى طالب العلم للتعلم ، إذ هو مهماً علت حماسته، وارتفعت عزيمته، لا يخلو منْ أن تعصف به رياح الكسل، ويصيبه العجز الفتور، ومن ثم كان لابد من تعاهد هذه النبتة بالرعاية، وهو امر لا يمكن ان يغفل عنه معلم البشرية (ﷺ) فيسلك مبدأ إثارة الدافع لدى المتعلم من خلال

أ. بيان فضل العلم وطلبه:-

فيقول (ﷺ) "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضى للطالب العلم، وان العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وان العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه اخذ بحظ وافر". (٦٢- السجستاني: ص ٣٦٤١- ٣٦٤٢)(٢٩- الترمذي: ص٢٦٨٣-٢٦٨٤).

وعندما جاءه ثلاثة نفر، وهو جالس مع أصحابه فجلس احدهم خلف الحلقة والآخر رأى فرجة فجلس فيها، وأما الثالث فأعرض، قال (ﷺ) بعد ذلك "أما احدهما فأوى الله فآواه الله اما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه"(١٣- البخاري: ص٦٦) (٥٣- الدويش :ص٢٣-٢٤).

ب. إشعار المتعلم بحاجة العلم:-

وفرق بين ان يعلمه (ﷺ) ابتداءً، وبين ان يشعر هو بحاجة للعلم فيأتي سائلاً باحثاً عنه. (٥٣- الدويش: ص٢٤).

فحين جاء المسيء صلاته وصلى قال له النبي (ﷺ): "ارجع فصل فإنك لم تصل" فأعاده (ﷺ) مراراً، حتى أحس بالحاجة للتعلم فقال:"والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني". (٥٣-الدويش :ص٢٦).

ثانياً: جمعه بين تعليم المادة العلمية والتربية:-

فقد وصفه الله سبحانه وتعالى بذلك " هُوَ ٱلذّي بَعَثَ فِي ألامّيينَ رَسُولاً مُنهمْ يَتْلوا عَلَيهْم آياتهِ وَيُزُكّيهمْ وُيُعَلّمُهمْ ٱلكّتابَ وِالحِكْمَةَ وَإنْ كَانوُا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاْلٍ مُبينٍ " الجمعة/٢.

فمن وظائفه (ﷺ) تعليم العلم، والتزكية، وتلاوة الكتاب على أصحابه، ولذا لم يكن (ﷺ) يخرج أقواما ،يحفظون المسائل فقط، بل ربى أصحابه تربية علمية وتربية جهادية وقيادية وادارية، وقبل ذلك كله تربية إيمانية (٥٣- الدويش :ص ٢٥).

ثالثاً: عنايته بتعلم المنهج العلمي:-

لم يقتصر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في تعليم اصحابه مسائل علمية فحسب –بل ربى علماء ومجتهدين- وحملة العلم للبشرية. ولقد ظهرت اثار هذه التربية على صحابته في مواقفهم بعد وفاته كما في حادثة الردة، وجمع القرآن، واتخاذ السجون، وغير ذلك من المسائل التي اجتهد فيها صحابته، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام النوازل التي واجهتهم، واستطاعوا ان يتوصلوا للحكم الشرعي. (٥٣-الدويش :ص٢٥).

ومن معالم تعليمه المنهج العلمي ما يأتي:-

أ- كان يعودهم على معرفة العلة ومناط الحكم:-

فلما سئل عن الرطب بالتمر، قال (أينقص الرطب إذا جف) قالوا:- نعم، قال:- (فلا إذا) (١٣١- النيسابوري:ص ١٠٠٦) ، وقد كان معلوماً له (ﷺ) ولغيره ان الرطب ينقص إذا جف، لكنه اراد تعليمهم مناط الحكم وعلته. (٥٣- الدويش :ص٢٦).

ب- كان يعودهم على منهج السؤال وآدابه:-

اذ يقول (ﷺ) (الا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال) (١٠٨- ابن ماجة:ص ٥٧)(٦٢-السجستاني:ص ٣١٣). ولا يمكن ان يخلو متعلم من السؤال والحاجة اليه، ومن هنا كان عليه ان يتعلم متى يسأل؟ وعم يسأل؟ وكيف يسأل؟ وهو منهج سعى لتأكيده (ﷺ) وتعليمه لأصحابه (٥٣ –الدويش :ص٢٧).

ج- كان في أجابته لا يقتصر على موضع السؤال فحسب بل يجيب بقاعدة عامة:-

فقد سئل رسول الله (ﷺ): ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال: (لا يلبس القميص ولا البرانس، ولا السراويل، ولا شيئاً مسه زعفران أو درس) (١٣-البخاري: ص ١٥٤٣)(١٣١- النيسابوري :ص ١٧٧).

فلم يعدد له ما يجوز للمحرم لبسه إنما أعطاه قاعدة عامة فيما يحل للمحرم لبسه ليعلم ان ما سواه غير محظور. (٥٣ – الدويش :ص٢٧) .

د- تربيته لأصحابه على منهج التلقي:-

فالرسول(صلى الله عليه واله وسلم) يسن لأصحابه الطريق، وحين يرى خللاً في هذا المنهج، أو اعوجاجاً فيه فإنَّهُ يأخذ بيد صاحبه.

إنَّ المعلم الحق هو الذي يعطي المتعلم الأداة التي يصل من خلالها إلى النتيجة بنفسه، لا الذي يعوده في كل موطن يملي عليه موقفاً محدداً (٥٣- الدويش :ص٢٨)

هـ- تربيتهم على منهج التعامل مع النصوص:-

إنَّ التعامل مع المصادر الشرعية من دون سواها، ليس نهاية الطريق، انما هو مرحلة مهمة وأساسية، ويبقى بعد ذلك كيفية التعامل مع هذه المصادر، وهو ما سلكه (ﷺ) في تعليم أصحابه وتربيتهم.

خرج رسول الله (ﷺ) على أصحابه وهم يتمارون في القدر، هذا ينزع آية وهذا ينزع آية فغضب حتى كأنما فُقيء في وجهه حب الرمان من الغضب، وقال (ابهذا أمرتم؟ ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم)(١٠٨- ابن ماجه:ص٨٥) (٥٣- الدويش :ص٢٨).

فما أحوج المعلمين والمدرسين والمربين إلى الاقتداء بهذا المنهج فيربون طلابهم على أكبار النصوص، وإجلال كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله (ﷺ).

فيجب على المدرسين ان يعلموا طلابهم ان المسائل الشرعية التي تثبتت بالنص لا نقاش فيها.

و-تعودهم على الاستنباط:-

سأل رسول الله (ﷺ) اصحابه يوماً، فقال:- (من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، ومثلها المسلم، فأخبروني ما هي؟) قال ابن عمر –راوي الحديث- فذهب الناس في شجر البوادي، وذهبت إلى انها النخلة، وكنت اصغر القوم فاستحييت، فقال (ﷺ) (انها النخلة)(١٣- البخاري:ص٧٢) (٥٣- الدويش :ص٢٦).

علمنا الرسول (ﷺ) من خلال هذا النص انَّ لانقف عند حفظ المسائل المجردة، وانما علمنا على التفكير والتحري والاستنباط.

ي- تعويدهم على المناقشة والمراجعة :-

اذ قال النبي (ﷺ): (من حوسب عذب) قالت عائشة: أو ليس يقول الله تعالى "فسوف يحاسب حساباً يسيرا" قال: (انما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)(١٣-البخاري:ص١٠٣)(١٣١_النيسابوري:ص٢٨٧٦).

فالقضية ليست سلوكاً ذاتياً لعائشة(رضي الله عنها)، وان كان ذاك محل تقدير واحترام بل هو مما تعلمته واعتادته من المعلم الأول (ﷺ) (٥٣- الدويش :ص٣٠).

رابعاً: تربيته لأصحابه على القيام بواجب التبليغ

نجد اثر هذه التربية في قول أبي ذر (رضي الله عنه) (لو وضعتم الصمصامة (السيف) على هذه –وأشار إلى قفاه- ثم ظننتُ اني أنفذُ كلمة سمعتها من رسول الله (ﷺ)، قبل ان تجيزوا علي لأنفذتها) (١٣- البخاري:ص)(٥٣- الدويش :ص٣٠).

فقد أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بانَّ يبلغوا عنه ويرووا ما جاء منه ليتعلم الناس خلق الرسول وأمور دينهم ودنياهم.

خامساً: تشجيع المتعلم والثناء عليه

كان رسول الله (ﷺ) يشجع المتعلم ويثني عليه ليكون دافعاً له لمزيد من الحرص والاجتهاد والعناية.

فحين سأل أبي بن كعب: ابا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال أبي (آية الكرسي). قال رسول الله (ﷺ) (ليهنك العلم ابا المنذر)(١٣١-النيسابوري :ص٨١٠) فالأمر قد لا يعد كلمة ثناء، أو عبارة تشجيع، تنقل الطالب مواقع

ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد. والنفس ايا كان شأنها تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز. ويدفعها ثناء الناس خطوات أكثر. (٥٣- الدويش: ص٣٣).

سادساً: مراعاته للفروق الفردية

قال أبو رفاعه أنتهيتُ الى النبي (ﷺ) وهو يخطب قال : فقلت يارسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لايدري مادينهُ ، قال: فأقبل عليّ رسول الله(ﷺ) وترك خطبتهُ حتى أنتهى اليّ فأتى بكرسي حسبتُ قوائمهُ حديداً ، قال فقد عليه رسول الله (ﷺ) وجعل يعلمني مما علمهُ الله ، ثم أتى خطبتهُ فأتم آخرها. (١٣١-النيسابوري : ج٣:ص١٥)٠

فالناس معادن وقدرات، وطاقات متفاوتة، حرصاً، وذكاءاً واستعداداً وتحصيلاً. (٥٣- الدويش:ص٣٥).

وبما ان المدرس أو المعلم يتعامل مع الجميع ويخاطب كل المتعلمين فيجب عليه ان يكون ما هراً في إقناع الجميع وان يحقق التوازن بينهم، فعلى المدرس ان يعرف تفكير وقدرة تلاميذه ليستطيع ان يتعامل معهم ويقرب الفائدة إلى أذهانهم، فيفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه، فلا يعطيه ما لا يتحمله، ولا يقصر به عما يتحملهُ بلا مشقة.

سابعاً: استعمال الوسائل التعليمية

فالرسول (ﷺ) يشير تارة بأصبعيه كقوله (انا وكافل اليتيم كهاتين) (١٣- البخاري :ص٥٣٠٤) واشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

وتارة يضرب المثل كقوله (ﷺ) (لله افرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على دابته وقد أضلها في أرض فلاة وعليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت، فقام فإذا هي عند رأسه)(١٣-البخاري:ص٦٣٠٨) (١٣١- النيسابوري:ص٢٧٤٤).

وتارة يستعمل الرسم للتوضيح، فقد خطَّ خطاً مستقيماً، والى جانبه خطوط، وقال (هذا الصراط وهذه السبل)(١٣- البخاري:ص٦٤١٧).

وأحيانا يحكي قصة واقعية من الأمم السابقة، كما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدعو الله بصالح أعمالهم. (١٣-البخاري:ص٣٤٦٥)(١٣١_النيسابوري :ص٢٧٦٦).

وأحيانا يربط المعنى المعقول بالصورة المحسوسة. فقال لعلي(عليه السلام) (قل اللهم آهدني، وسددني، واذكر بالهدي هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم).(١٣١-النيسابوري:ص٢٧١٥).

فاستعماله (صلى الله عليه واله وسلم) لما اتيح في عصره من وسائل ، يعني لنا ان من تمام الاقتداء به ان نستعمل خير ما تفتق عنه العصر من وسائل واساليب حديثة في التربية والتعليم ، ما دامت مباحة .(٥٣-الدويش:ص٤٠).

ثامناً: مراجعة العلم والحفظ

فقد اوصى (ﷺ) حفاظ القرآن بتعاهده والعناية به (تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها).(١٣-البخاري:ص٥٠٣٣).

وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان. (٥٣-الدويش:ص٤٠).

من خلال هذا الاستعراض في منهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في التربية والتعليم، نجد ان رسول الله (ﷺ) كان يشيد دوماً بفضل المعلمين ومنزلة العلماء ومكانة العلم، فهو قوام الدنيا وقوام الدين اذ يقول (ﷺ) "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).(١٣١-النيسابوري:ص٧٣)(٦٢_السجستاني:ج١:ص٦٥٩).

وبذلك فهو (ﷺ) قد قدم صوراً ينبغي للمعلم أو المربي الأخذ بها ، لأنها الأساس الصحيح في التربية والتعليم فهي قد صدرت من خير البشر والمعلم الأول ، فضلاً عن انها تتفق مع الأساليب المتبعة في أنظمة التعليم كافة.

المدرسة في الإسلام

أ. مفهوم المدرسة .

ب. الدراسة والتدريس في الحضارة العربية الإسلامية.

أ. مفهوم المدرسة:-

المدرسة لغة: موضع الدرس (١٠٢- الفيومي :ج١:ص١٩٢).

ولذا تطلق على الموضع الذي يدرس فيه القرآن الكريم وغيره ويتعلم فيه الطلبة، سميت به لكثرة الدرس فيها. وجمعها (مدارس) (١٧- البستاني :ص٢٧٦).

والدرس: مصدر، يقال درس الكتاب يُدرسهُ، ويدرسهُ درساً: أي قراءة (١٠١- الفيروزابادي:ص٧٠٢) واقبل عليه ليحفظه. ودَرَستُ الكتاب أدرسه درساً: أي ذللته بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليّ. (١٢١-ابن منظور:ج٦:ص٧٩).

والدرس: درس الكتاب للحفظ، ودرس دراسة، ودارست فلاناً كتاباً لكي احفظ. (٩٦- الفراهيدي:ج٧:ص٢٢٧).

قال تعالى "وَدَرِسَوُا ما فيه" الأعراف/١٦٩ أي قرءوا ما فيه. (٢٠- البغوي:ج٢:ص٢١٠) (٦٧-الشافعي:ص١٥٠).

وقال تعالى "وان كنَّا عَنْ دَراستهم لغافلِينَ" الأنعام/١٥٦.أي عن قراءتهم. (٧٦- الطبري:ج٨:ص٩٤).(٢٤-البيضاوي:ج٢:ص٤٦٨) (٦-الألوسي:ج١٨:ص٦).

ودراسَة مُدارسة: قرأ كل منهما على صاحبه(١٧-البستاني:ص٢٧٦)، ومنه قوله تعالى "وليقولوا دَرَسْت(الأنعام/١٠٥)، إذ قرأها عبد الله بن كثير الداري وابو عمرو زيان بن العلاء البصري .

قرأها كل منهما (وليقولوا دارست)(٥٨-ابن زنجلة:ص٢٦٤) (١٨-البغدادي:ص٢٦٤)، أي دارست أهل الكتاب (٨٩-العكبري:ص٢٥٦). بمعنى قرأت عليهم وقرأوا عليك وذاكرتهم وذاكروك(١٣٢-ابن الهائم:ص١٧) .

في حين قرأها عاصم بن أبى النجود الاسدي ، وحمزة ابن حبيب الزيات ، وعلي بن حمزة الكسائي ، (وليقولوا درست)(٥٨-ابن زنجلة:ص٢٦٥) (١٨-البغدادي:ص٢٦٤)، أي قرأت الكتب السابقة

(١٣٢-ابـــن الهـــائم:ص١٩٧) ، أو قُرِئـــتْ عليـــك فقراتهـــا وتعلمتهـــا (٧٧-الطريحي:ص٣٠٣).

وفي الحديث الشريف: (تدارسوا القرآن)(١-ابن الأثير:ج٢-ص١١٣)، أي اقرؤوه وتعهدوه لئلا تنسوه(١٠٩-المباركفوري:ج٨-ص٢١٥).

والمـدْراس: الموضـع الـذي يـدرس فيـه(١-ابـن الأثيـر:ج٢-ص١٣) (١٢١-ابن منظور:ج٦-ص٨٠) أو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن الكريم(١٢١-ابـــن منظـــور:ج٦-ص٨٠) (١٠١-الفيروز ابادي:ج١-ص٧٠١)(٥٧-الزبيدي:ج٤-ص١٥٠).

نستنتج من كل ذلك ان لفظ (المدرسة) يطلق على المواضع التي تتلى فيها الدروس وتنشط فيها مدارسة المتون والكتب، ومذاكرة العلوم والمعارف، ولذا فانه يصح اطلاقه على المباني والمنشآت المخصصة لذلك.

ب. الدراسة والتدريس في الحضارة العربية الإسلامية

لما كانت مدرسة النجف الاشرف إحدى ركائز الحضارة العربية الإسلامية، فان البحث فيها يتطلب التعريف بمعالم الدراسة والتدريس في التاريخ العربي الاسلامي، وذلك من خلال:

أولاً: التعريف بالأماكن التي كان فيها التعليم في التاريخ العربي الإسلامي ليتضح لنا ان مدرسة النجف الاشرف هي احدى حواضر الأمة العلمية ومراكزها

الثقافية على امتداد الف عام قد اتبعت في مناهجها التعليمية المعالم الأساسية المتبعة في تلك المؤسسات.

ثانياً: دراسة أهداف التعليم، وآدابه، التي احتوتها كتب العلماء والمربين العرب المسلمين، والتي تبنتها المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية ومن بينها مدرسة النجف الاشرف.

و الاماكن التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية هي:-

أ. البيوت

ب. المساجد

ج. الكتاتيب

د. منازل العلماء

هـ.حوانيت الوراقين

و.القصور

ي.المكتبات

ز. المدارس (٤٠-الحمادي:ص١٤٧-١٤٨).

ثانياً: اهداف التعليم وآدابه في التاريخ العربي الاسلامي

أ. اهداف التعليم في الحضارة العربية الإسلامية

ب. آداب التعليم:

١. آداب الشيخ

٢. آداب الطالب

٣. آداب الدرس

أولا: الأماكن التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية

ان من اوليات الإسلام ريادة الحركة العلمية وتكوين العقلية الثقافية للإنسان المسلم على أسس علمية بعيدة عن الخرافات والأساطير وصولاً إلى بناء المجتمع الإسلامي (الحضاري) المؤلف من المؤمنين ذوي البصيرة والإيمان القائم على العلم والوعي.

إذ بين القرآن الكريم في آياته العظيمة فضل العلم والحث على طلبه مشيراً إلى أهميته لتحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

وللقرآن الكريم الفضل الاكبر في انتشار التعليم والحث على تعلم العلم فصار القرآن العظيم أصل التعليم في العالم الإسلامي.(١٠٦-كحالة:ص٨٩).

فأول آية انزلت من القرآن الكريم تحث على القراءة.(٥٤-الديوه جي :ص٦)قال تعالى" أقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"(العلق/١-٥).

فنزول هذه الايات تعني ان القراءة بداية الاطار الفكري في الإسلام، ولذلك فقد احتوت معاني تعجز مؤلفات كبيرة ضخمة من ان تستوعبها، فمعاني عن القراءة وعن العلم، وعن التعليم لما يجهله الإنسان ، ومن التعليم بالقلم كأداة للكتابة والتسجيل، وعن مهارات الإنسان التي تميز بها عن غيره من المخلوقات حينما يمسك بالقلم ليكتب ويتعلم، ويدون على انه مهارة أساسية للعلم والتعليم والتربية .

وايضاً قوله تعالى" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات"المجادلة/١١ وقوله تعالى "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر/٩. كما أكدت السنة النبوية الشريفة مضامين الآيات الكريمة في كثير من المناسبات، منها قوله (ﷺ): (انما بعثت معلماً) (٤-

الأصـــــــــبهاني:ج٤:ص١٦٤) (١٠٨-ابـــــــن ماجـــــــة:ج١-ص٨٣) (٢٥-البيهقي:ص٣٠٦) (٨١-الطيالسي:ص٨٩).
وقولـه (ﷺ) (طلـب العلـم فريضـة علـى كـل مسـلم)(١٠٨-ابـن ماجـة:ج١:ص٨١) (٧٢-الصفار:ص٢-٣) (١٠٧-الكليني:ج١-ص٣٠)(١١٨-المفيد:ص٢٨).

والمراد بالعلم هنا كل علم نافع يرفع من قدر الإنسان وينمي عقله، ويجعله أكثر خبرة بالحياة وإطلاعا على أحوالها (٧٨-طلس:ص٤٥) وكان ذلك دافعاً قوياً للمسلمين لتدارس العلوم منذ عصر الرسول (ﷺ) بتشجيع منه (ﷺ) الذي كان معلمهم الأول، فآتخذ لهم مواضع يتدارسون فيها العلوم وشيدوا المؤسسات الثقافية لتطوير الحركة الفكرية، والتي كان أبرزها:

أ. البيوت:-

يعد البيت أول مكان للتعليم في الإسلام، وكان بيت النبي (ﷺ) مقراً للتعليم، ودار الأرقم بن أبي الأرقم الذي كان رسول الله (ﷺ) يلتقي مع الصفوة من المسلمين ويعلمهم القرآن الكريم والدعوة الإسلامية مع الاحتراس والحرز إلى ان تشق الدعوة طريقها نحو غايتها المرتقبة المأمولة. (
٤٠-الحمادي:ص١٤٨).

ب. المساجد:-

المسجد: هو الموضع الذي يسجد الناس فيه،(٩٦-الفراهيدي:ج٦-ص٤٩) (١٢١-ابن منظور:ج٣-ص٢٠٤)(١٧-البستاني:ص٣٩٧) وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد (١٢١-ابن منظور:ج٣-ص٢٠٤)(١٧-البستاني:ص٣٩٧) .
وقيل اسم لموضع العبادة سجد فيه ام لم يسجد (١٧-البستاني:ص٣٩٧) وعندما هاجر الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة، فبنى مسجده في مربد سهل وسهيل ابني

عمرو من بني النجار بعد ان اشتراه منهما بعشرة دنانير. (٥٩-ج١-ص٢٣٩)(٧٥-الطبرسي:ج١-ص١٥٨) (١٠٥-ابن كثير:ج٣-ص١٩٩)(٨٥-ابن عبد البر:ص٨٧). فأصبح أول مركز عبادي، ومقر قيادي وصرح حضاري يتعلم فيه المسلمون أصول دينهم وعلوم شريعتهم وآداب لغتهم وعبر تاريخهم، وأدوات ذلك من قراءة وكتابة. (٧-امين:ج١-ص١٩٨)(٨-امين:ص١١).

وبذلك اصبح المسجد المعهد الأول لنشر العلم في العالم الاسلامي، وغدت المساجد مراكز تهذيبية وتعليمية يؤمها المسلمون للتزود بالمعارف منذ عصر الرسالة. (٧-امين:ج١-ص١٩٨)(٧٨-طلس:ص٦١-٦٣) (٨-امين:ص١١-١٢)(٩٩-فياض:ص٦٥).

فكانت تعقد فيها حلقات الدرس والمناظرة والوعظ والارشاد.(٩٩-ص٦٥) ودرست ونوقشت في هذه الحلقات العلوم الإسلامية – تلاوة وتفسير القرآن الكريم وعلومه، ورواية الحديث الشريف وعلومه، وعلم الفقه، وعلم الكلام والعقيدة وعلوم العربية (اللغة، والبلاغة، والنقد الادبي، والشعر، والأدب، وما يتعلق بها)(٧-امين:ج١-ص١٩٨) وتناقل المرويات التاريخية وتاريخ العرب وأيامهم وأخبارهم، وتاريخ الأمم والأنبياء والملوك وأخبارهم (٧٨-طلس:ص٦٢) .

وقد اتخذ بعض الشعراء احياناً من المسجد مكاناً لرواية الشعر (٥٥-الرافعي:ج١-ص٨٩)(٨-امين:ص١٣) ودرست في المسجد ايضاً العلوم الصرفة، كما يذكر السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) (ان القرآن والطب والميقات كانت تدرس في الجامع الطولوني –في القاهرة- فضلاً عن دروس التفسير واللغة. (٦٦-السيوطي:ج٢:ص١٣٨) .

وتمكنت المساجد من المحافظة على دورها التعليمي، وظلت رافداً مهماً للثقافة والفكر العربي الاسلامي منذ عصر صدر الإسلام وحتى العصر الحديث.

ج. الكتاتيب:-

الكتاتيب: جمع الكتاب، وهو موضع تعليم الكتاب (١٢١-ابن منظور:ج١:ص٦٩٩)، أو مجمع صبيانه (٩٦-الفراهيدي:ج٥:ص٣٠٤١)، والمكتبُ: موضع تعليم الكتابة (١٠٢-الفيومي:ج٢:ص٥٢٥)، والجمع: كتاتيب (١٠١-الفيروز ابادي:ج١:ص١٦٥)، والمكتب: المعلم (٩٦-الفراهيدي:ج٥:ص٣٤١)(١٢١-ابن منظور:ج١:ص٦٩٩)، قال المبرد المكتب: موضع التعليم، والمكتب: المعلم، والكتاب: الصبيان، قال: ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ(١٢١-ابن منظور:ج١:ص٦٩٩) فقول الجوهري (الكتاب والمكتب واحد)(٣٢-الجوهري:ج١:ص٢٠٩) غلط (١٠١-الفيروز ابادي:ج١:ص١٦٥).

وقد آهتم العرب بـ(الكتاتيب) منذ عصر ما قبل الإسلام، فكان الطفل العربي في عصر ما قبل الإسلام يلقن في الكتاتيب مبادئ القراءة والكتابة (٧٨-طلس:ص٦٦)، ولكن على نطاق ضيق وفي الحواضر العربية (٢٣-البلاذري:ص٤٥٩).

ان الحاجة إلى الكتاتيب كمؤسسات للتعليم الاولي ازدادت بظهور الإسلام وذلك لان متطلبات الدعوة الإسلامية تستلزم نشر التعليم، بما فيه التعليم الاولي، ولذا شجع رسول الله (ﷺ) المسلمين على التعلم والتعليم(٩٩-فياض:ص٦٠)، فارسل مبعوثه الأول الصحابي مصعب بن عمير الى المدينة المنورة (٣٧ق.هـ ـ ٣٠هـ /٥٨٦ـ٦٢٥)معلماً لأهل المدينة (٥٩-الزهري:ج١-ص٢٢٠).(١٠٥-ابن كثير:ج٣-ص١٤٩) (٦٣-السخاوي:ج١-ص٤٦).

وقد ازدادت الكتاتيب وانتشر التعليم في انحاء الدولة العربية الإسلامية بأطراد منذ عصر صدر الإسلام.

وكان الأطفال يتعلمون في الكتاتيب في ظل الدولة العربية الإسلامية القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والنحو واشعار العرب وقراءة القرآن الكريم وحفظه

ومبادئ الدين الإسلامي وإحكامه. (٨-امين:ص١٦)(٩٩-فياض:ص٦١) وبعد ان يكمل التلاميذ تعليمهم في الكتاتيب ينصرف إلى تعلم العلوم من يريد اكمال دراسته منهم (٩٩-فياض:ص٦٠).

د. حوانيت الوراقين:-

نتيجة لانتشار الورق واستعمالهُ في ارجاء البلاد الإسلامية، كثرت الكتب، واصبحت عملية اقتنائها سهلة للراغبين فيها، فظهرت المكتبات وحوانيت الوراقين. وهذه الحوانيت ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم والمعرفة إذ لم يكن غرضها تجارياً صرفاً، بل كانت اماكن مناسبة لاجتماع الادباء ومحبي المعرفة، تثار فيها المناقشات التي غالباً ما تتحول إلى ندوات علمية تُعرض فيها مختلف الآراء حول الموضوع الواحد. (٣٩-الحلي:ص٦٩) وقد انتشرت هذه الحوانيت في العواصم والبلدان المختلفة، ومارس الوراقون مهنة نسخ الكتب المهمة وعرضها للراغبين فيها (٣٩- الحلي:ص٦٩).

هـ. القصور:-

اتخذ الخلفاء والأمراء قصورهم أماكن لتعليم أبنائهم بإشراف معلمين خاصين يذهبون إلى القصور لتزويد الأولاد بقدر من الثقافة والمعرفة التي تؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها. وكان الأب هو الذي يضع المنهج المقرر لتعليم ابنه أو يشارك في وضعه وتخطيطه. وقد أطلق على المعلم الخاص الذي توكل اليه مهمة تعليم ابناء الخلفاء والأمراء والأغنياء اسم (مؤدب)
(٣٩-الحلي:ص٦٩).

و. المكتبات العامة:-

انشأ الخلفاء والملوك والأمراء مكتبات خاصة ألحقت بقصورهم، وكان عدد من هذه المكتبات يطلق عليه (مكتبات بين الخاصة والعامة) كمكتبة الناصر لدين الله ، وقد ضمت هذه المكتبات التي تسمى آنذاك بـ(الخزائن) كتباً نفيسة ومخطوطات نادرة في موضوعات الدين والآداب والمنطق والفلك والفلسفة، وغيرها من العلوم الاخرى. ومن اهم هذه المكتبات:-

١. دار الحكمة بالقاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٣٦٥هـ .
٢. المكتبة الحيدرية في النجف وتأسست في القرن الرابع ومكانها في الصحن الشريف للامام علي (عليه السلام) أسسها عضد الدولة البويهي.
٣. مكتبة أبن سوار في البصرة، أسسها احد رجال عضد الدولة (٣٩-الحلي:ص٧٠-٧١).

ي. المدارس:-

أدت المدارس دوراً رياديا في التعليم ابان حقب التاريخ العربي الاسلامي وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في تاريخ ظهورها ، الا اننا نجد ان اقدم النصوص الادبية التي ورد فيها ذكر(المدرسة) بمعناها الاصطلاحي في التراث العربي هو قول الشاعر العربي دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨-٢٤٦هـ) في رثاء أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

مدارس آيات خلتْ من تلاوةٍ

ومنزلُ وَحْيٍ مقفرُالعرصات

(٤٥-الخزاعي:ص٣٦)

ويقصد بالمدرسة بمعناها الاصطلاحي الامكنة التي كانت تقام لإقراء القرآن الكريم. وتدارس احكام الشريعة الإسلامية وعلومها. (٧٨-طلس:ص١٢٢).

والمدرسة مؤسسة تعليمية وثقافية تطورت عن دور العلم ودور الكتب التي اتسع نشاطها العلمي منذ القرن الثالث الهجري بل قبله، إذ ازدهرت النشاطات

العلمية لـ(بيت الحكمة) في خلافة المأمون العباسي، وغدت دار العلم التي شيدها سابور بن اردشير مدرسة للفقهاء وطلبة العلوم حتى قال عنها ابن كثير (ت:٧٧٤هـ/ ١٣٧١م) (بأنها أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة)(١٠٥-ابن كثير:ج١:ص٣١٢) وكانت دار العلم التي شيدها الشريف الرضي مدرسة متكاملة ذات قسم داخلي، فهي دار علم ودراسة ومكتبة وسكن للعلماء والطلبة(٣٧-الحكيم:ص٤٧)(٩٩-فياض:ص٩٨).

وقد تكامل تطور المدارس هندسة ومنهجاً بتشييد نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد(٧٨-طلس:ص١٢٦) والتي تأسست في سنة (٤٥٧)هـ وبلغ ذروته بتشييد الخليفة العباسي المنتصر بالله (٥٨٨-٦٤٠هـ/ ١١٩٢-١٢٤٢) المدرسة المستنصرية في بغداد والتي افتتحت للتدريس سنة ٦٣١هـ ١٢٣٤م.(٨-امين:ص٦٧).

اما العلوم التي كانت تدرس في المدارس العربية الإسلامية منذ نشأتها فهي: علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف وروايته، وعلم الفقه، وأصوله، وعلم الكلام، وعلوم اللغة العربية من: النحو والصرف واللغة والعروض والبلاغة والآدب العربي شعراً ونثراً ، علماً بأنه يختلف الأمر في تدريس هذه المواد توسعاً وانكماشاً من مدرسة لأخرى، ومن وقت لآخر. (٨-امين:ص١٤٥).

وقد توسع العلماء والأساتذة في تدريس هذه العلوم بزيادة المطالب العلمية المدروسة وبمناقشة الأراء المختلفة وعرض مضامين المؤلفات الصادرة ومناقشتها.(٨-امين:ص١٤٨-١٥٠).

كما درست علوم اخرى في عدد من المدارس الإسلامية فمثلاً درست علوم: الجبر، والهندسة، والطب والفلسفة، والصيدلة،والحساب، وعلم الحيوان، في المدرسة المستنصرية.(٣-الاربلي:ص٢١٢)(٨-امين:٧٩).

اما طريقة التدريس المتبعة في المدارس العربية الإسلامية فكان قوامها ان يبين الاستاذ لطلبته المطلب العلمي موضوع الدرس وذلك بقراءته وأملائه عليهم وشرحه لهم، وذكر المسائل المتعلقة به، ومناقشة آراء العلماء فيها، والترجيح

فيما بينها، معززاً أقواله بالامثلة والشواهد، ليقربها إلى ذهن الطالب مع مناقشة الادلة والمدارك، ثم بعد ذلك يفتح باب الحوار والمناقشة مع طلبته فيسألهم مستعلما عما استوعبوه، ويسألونه مستفهمين عما اشكل عليهم، وكانوا يكتبون ما يمليه عليهم شيخهم.(٧٨-طلس:ص١٤٨-١٥٠) (٩٩-فياض:ص٢٣).

ونستنتج من ذلك ان مدرسة النجف قد درست علوم الدين واللغة والعلوم العقلية الصرف والإنسانية على وفق منهجية تتمثل بألاتي :

١. الشرح والاملاء.
٢. القراءة على الشيخ.
٣. المناقشة الحرة.
٤. الاخذ بالراجح وتبيين المرجوح.

ثانياً: أهداف التعليم وآدابه عند العرب المسلمين

كان المسلمون العرب يبغون من التعليم تحقيق أهداف ثلاثة:

الأول: الهدف الديني: ويتمثل بإبراء ذمة المكلف بوجوب تحصيل العلم بأحكام الشريعة ، وصولاً إلى نيل مرضاة الله تعالى وجزيل ثوابه (١٠-الاهواني:ص٩٠)(٧٨-طلس:ص١٤٢)(٨٠-طوطح:ص١٤٢).

فضلاً عن امتثال الأوامر والنواحي الإلهية واعتناق العقائد الحقة ودفع الشبهات يتوقف على معرفة الدين الحنيف أوصولاً وفروعاً، ولا تتحقق معرفة ذلك معرفة كاملة راسخة الا بالتعليم.(٨٠-طوطح:ص٥٨) (٧٨-طلس:ص١٤٢).

ثانياً: الهدف الدنيوي: ويتمثل بالتعليم الذي يحقق للمسلمين في حياتهم مغانم جمة، لانه يؤدي إلى تطور حضاري وتقدم مطرد في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة، الامر الذي ينعكس ايجابياًُ على النشاط الاقتصادي فيحقق رفاهاً مادياً للفرد وللمجتمع، كما انه من الطرق المشروعة لكسب المال الحلال الذي تبيحه احكام الدين الحنيف(٨٠-طوطح:ص٥٨) (٧٨-طلس:ص١٤٢).

ثالثاً: الهدف العلمي: يتمثل ببلوغ اللذة الروحية من العلم، وهو هدف يدفع صاحبه إلى التعلم والبحث لا لشيء سوى الاكتفاء بلذة البحث عن الحقيقة وبلوغ اعماق المعرفة والاطلاع على حقائق الكون والحياة واسرار الموجودات، فضلاً عن اشباع رغبة الإنسان وفضوله في معرفة ذلك(٨٠-طوطح:ص٥٨) (٧٨-طلس:ص١٤٢).

آداب التعليم:-

التعليم رسالة إنسانية وتربوية واجتماعية تتيح للفرد الفرص الممكنة لمساعدته على النمو في جواب شخصيته المختلفة من اجل تحقيق أقصى تكيف مع ظروف الحياة المتغيرة والمتطورة بما استقاه من معلومات وما اكتسبه من خبرات ومهارات لاستخدامها لمواجهة تحديات البيئة التي تحيط به.

وفي هذا الإطار فان التعليم في الإسلام يقدم في موضوعاته على أسس علمية تضرب جذورها في أعماق الحضارة العربية الإسلامية.

وقد عني العلماء المسلمون في المسائل والأصول التي اتسمت بالشمول والعمق مرتكزة على العلم ومقوماته، لكونه هو سبيل الإنسان المسلم المؤمن في الحياة.

لكل هذا فان هناك شروطاً مهمة لابد من تحققها لأحداث موقف تعليمي سليم وصحيح، يحدث من النتائج وما هو مطلوب ومرغوب فيه ، وان هذه الشروط تتصل بالشيخ المعلم نفسه ومنها ما تتصل بالمتعلم ومنها ما تتصل بالدرس.

فكل من هذه العناصر له شروطه وأصوله وآدابه.

أولاً: ما يتعلق بآداب الشيخ:

لقد شاع في الفكر الاسلامي انه يطلق على المعلم مصطلح الشيخ احتراماً وتقديراً وتقديساً لرسالته، ومن هنا صار لزاماً على الشيخ المعلم ان يتحلى بصفات معينة اهمها:

١. ان يبذل عند وجوده المستحق له، فلا يمتنع عن تعليم احد ان كان أهلاً للتعليم (٨٥-ابن عبد البر:ج١:ص١٤٦) فيجب على المدرس مراعاة مستوى الطالب واستعداده لتقبل العلم، فأنهم لا يلقون البذرة الا في تربة خصبة قابلة للانبات وهكذا هو العلم فلابد له من متلق مستعد للتعلم.
٢. ان لا ينتصب للتدريس حتى يظهر استحقاقه لذلك بان يكون حاصلا للعلوم مستكملاً عدة التدريس بشهادة أساتذة وكبار علماء عصره. (٨٥-ابن

عبد البر:ج١:ص١٦٤) فلا يتصدى أي انسان للدرس والتعليم من دون مؤهلات تجعله اهلاً للتعليم فلابد ان يسعى في طلب العلم وتحصيله ولابد من ان يشهد لهم بذلك.

٣. ان يعمل بعلمه (٨٥-ابن عبد البر:ج١:ص١٤٦)

وذلك ليكون قدوة حسنة لمجتمعه وليحيل علمه إلى عملٍ ينفع الفرد والمجتمع.

٤. ان يصون العلم فلا يذله ببذله لغير أهله. (٨٤-العاملي:ص١٣١ص١٧٩)، لان العلم أمانة والله تعالى يحاسبه عليها.

٥. ان يلين للمتعلمين ويتواضع لهم ولا يتعاظم عليهم. (٨٤-العاملي:ص١٣١ص١٧٩) فلابد للمعلم ان يكون محباً لطلبته محترماً لهم.

٦. ان لا يذهب إلى مكان المتعلم مهما كبر قدره، الا ان تدعو اليه ضرورة، وتقتضيه مصلحة دينه. (٨٤-العاملي:ص١٣١) فالعلم يسعى اليه ولا يسعى لأحد الا عند الضرورة.

٧. ان يكون مهذباً متديناً متحلياً بالاخلاق النبيلة كاظماً لغيظه حليما وقوراً رفيقا بطلابه، باذلاً وسعه في تفقيههم، وتقريب الفائدة من افهامهم واذهانهم، متفنناً في ذلك، خبيراً في انجح سبل ايصال المعلومات اليهم، بصيراً في تذليل صعاب المطالب ودقيق المسائل (٨٤-العاملي:ص١٧٩).

٨. ان يفهم كل واحد من طلابه بحسب فهمه وحفظه، ولا يعطيه مالا يتحمله ذهنه، ولا يبسط الكلام بسطاً حتى لا يضعف نشاط الطالب عن التفكير. (٨٤-العاملي:ص١٧٩) فيجب على المدرس ان يراعي الفروق الفردية والمستوى الخاص لطلبته فلا يكلفهم فوق طاقتهم.

٩. ان يزجرهم عن سوء الخلق وارتكاب المحرمات والمكروهات بطريق التعريض ما أمكن، لا بطريق التصريح، لان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة. (٨٤-العاملي:ص١٧٩). فيستعمل المدرس وسائل التأديب التي تنبه الغافل وتعيده إلى رشده تلك الاساليب التي لا تخدش الحياء.

١٠. ان يحسن الشيخ خلقه مع جلسائه ويعاملهم بحسب تقدمهم ومنازلهم في العلم (٨٥-ابن عبد البر:ج١-ص١٤٦).

١١.ان يخرج الشيخ إلى الدرس كامل الهيئة ، مستكملاً ما يوجب له الوقار والهيبة. (٨٥-ابن عبد البر:ج١-١٤٦).

فيجب على الشيخ او المدرس مراعاة جانب الوقار والحشمة مما يبعث احترام العالم في نفوس الآخرين.

١٢.إذا سئل عن شيء لا يعرفه، أو عرض له في درسه مالا يعرفه يجب عليه ان يقول: لا اعرفه، أو لاتحقق منهُ. اولا ادري حتى اراجع النظر فيه ولا يستنكف من ذلك. (٨٥-ابن عبد البر:ج١-ص٤٤). فعلى المدرس ان لا يفتي بغير علم وان لا يستحي من قول لا اعرف

١٣.ان يحث الطالب على العلم وتحريضه عليه.

فان غرس حب العلم، والعناية به من الصفات المهمة التي ينبغي ان يتسم بها المدرس، وهي وصية يوصي بها المعلم من سلف من أهل العلم. قال الامام النووي (وينبغي ان يرغبه في العلم، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء، وانهم ورثة الانبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ولا رتبة في الوجود اعلى من هذه.(٥٣-الدويش:ص٤٦).

ثانياً: آداب الطالب:-

لعل المسألة المهمة التي تتعلق بطالب العلم هي رغبته في التعلم واندفاعه للتحصيل فهو عامل رئيس في تذليل جميع الصعوبات خلال مسيرته التعليمية، من هنا صار لزاماً على طالب العلم ان يتحلى بخصال معينة وصفات محددة وهي:

١. ان يواظب الطالب على حضور الدرس، وان يحضر مجلس الدرس قبل حضور استاذة، حاملاً كتبه وما يحتاجه من ادوات الكتابة. (٨٥-ابن عبد البر :ج١-ص١٤٧) فلابد من ان يشعر شيخه بانه محب للدرس حريص على التعلم فهو يسعى إلى الدرس قبل موعده.
٢. ان يكون حريصاً على التعلم. (٨٥-ابن عبد البر :ص١٤٧) فالطالب كلما كان حريصاً وراغباً في التعلم كان استيعابه للمادة وثباتها افضل واسرع.
٣. عدم الاستنكاف من التعلم ممن هم دونه سناً أو نسباً أو مالاً (٨٥ –ابن عبد البر :ج١-ص١٤٧) فطلب العلم غايته الأولى والاخيرة، فلا يهتم بالسن أو النسب أو المال لان العلم لا يتحدد بهذه الامور.
٤. ان يكون غرضه من طلب العلم هو العمل لوجه الله تعالى ابتغاء مرضاته (٨٥-ابن عبد البر :ج١-ص١٤٧) فلا يرجو شهرة او جائزة أو منصباً.
٥. ان يعتقد في أستاذه انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني. (٨٥-ابن عبد البر :ج١-ص١٤٨) وهذا يوفر جواً تربوياً يساهم في عملية التحصيل العلمي وتيسير التعلم بين الشيخ وطلابه.
٦. تبجيل أستاذه في غيبته وحضوره، والتواضع له. (٨٥-ابن عبد البر :ج١-ص١٤٨) فهو الذي يمده بأصول العلم والتعلم مما يجعل لزاماً عليه ان يحترمه في غيبته وحضوره فاحترامه احترام للعلم.
٧. المذاكرة بالمحفوظات وادامة الفكر فيها. (١٣٠-النووي :ص٤٤) التثبت من تحصيل المادة العلمية عن طريق مراجعتها واعادة قراءتها لتكون سلوكاً علمياً وتربوياً.

٨. عدم الاستحياء من السؤال عما اشكل عليه. (١٣٠-النووي :ص٤٤) فلا حياء في الدين والعلم، فغاية طالب العلم التعلم.

٩. التأدب مع زملائه الطلبة، وان يداوم على المذاكرة مع المجدين منهم (١٣٠-النووي :ص٤٤) فلزاماً عليه، ان يراعي الخلق الكريم مع زملائه ورفاقه الطلبة، وان يستفيد من تجاربهم وتحصيلهم العلمي.

١٠. ان يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة، والعلائق المانعة تمام الطلب، وكمال الاجتهاد. (١٣٠-النووي :ص٤٤) فيحاول الطالب ان يتفرغ لطلب العلم فلا يشغل نفسه بأمور تمنعه وتعيقه من مواصلة التعلم.

ثالثاً: آداب الدرس:-

ان للدرس آداباً وضوابط يجب ان تراعى الاتي:

١. تلاوة القرآن الكريم والدعاء بالمأثور قبل الشروع بالدرس.

٢. عدم الجلوس في وسط حلقة الدرس، وامام الغير لغير ضرورة.

٣. ان لا يقرأ الطالب الدرس حتى يستأذن استاذه.

٤. تقديم الدروس المهمة التي تكثر حاجة الناس اليها.

٥. الانتقال إلى دراسة الكتب المبسوطة والمحتوية على امهات المطالب وادق المسائل بعد اكمال دراسة المختصرات وضبط ما تضمنته من الفوائد والاشكالات. (٨٤-العاملي :ص١٦٩-١٧٠). أي : الانتقال من السهل والبسيط إلى الصعب المعقد.

٦. مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الدرس وتأخيره.

٧. تقديم دراسة العلوم الواجبة على غيرها، وذلك بمراعاة الاهم على المهم، فيقدم تدريس العلوم المفروضة فرض عين على العلوم المفروضة فرض كفاية والتي تقوم بدورها على العلوم المباحة.

٨. صيانة مجالس الدرس عن الغوغاء واللغط وسوء الادب.

٩. عدم الجدال والسؤال تعنتاً وتعجيزاً

١٠. ان يتامل الساءل ما يريد ان يورده من اشكال أو يسأل عنه قبل ابرازه

١١. عدم تطويل الدرس تطويلاً مملاً او تقصيره تقصيراً مخلاً.

١٢. تنصيب نقيب للطلبة يكون فطناً كيساً لترتيب الحاضرين وتنبيه الغافلين، يعيد لمن اراد من الطلبة الدرس، ويرجعون اليه في ما يستحون القاءه على الشيخ من مسألة اودرس.

١٣. تقديم الاسبق فالاسبق من الطلبة عند تزاحمهم في مجالس الدرس

١٤. الانقياد للحق بالرجوع عن الهفوة.

١٥. ان لا يتكلم احد في اثناء درس غيره بما لا يتعلق أو بما يقطع عليه : بحثه، واذا شرع احد في درس، فلا يتكلم بكلام في درس قد فرغ ولا بغيره مما لا تفوت فائدتة الا بأذن الشيخ وصاحب الدرس.

١٦. مراعاة النوبة في القراءة على الشيخ.

١٧. ختم الدرس بذكر شيء من الحكم والمواعظ والدعاء (٨٤-العاملي :ص٢٠٤).

المبحث الثاني

الدراسات السابقة:-

ان الدراسات السابقة في أي بحث علمي تكون في المقام الأول ، ان هناك محاولات مماثلة للبحث الحالي أو قريبة منه يمكن ان تكون اطاراً عاماً للبحث بالاستناد اليها في مجمل مجريات عمله من قبيل الاطلاع على نتائجها واكتساب المعرفة من طروحاتها المختلفة واجراء عملية المقارنة بين نتائج تلك الدراسات والدراسة الحالية.

وفي هذا الاطار سعت الباحثة جاهدة للحصول على دراسات سابقة على صلة بالبحث الحالي أو تحمل الفكرة نفسها، لكن لم تعثر على ذلك بشكل مباشر الا ان هناك محاولتين أو بحثين يخصان الشيخ الطوسي، الأول بعنوان الشيخ الطوسي والثاني منهج الطوسي في التفسير. لذا فان موضوع البحث الحالي لم يتطرق له باحث سابق، مما يعد أول محاولة (على حد علم الباحثة) لبيان اساليب التدريس في مدرسة النجف العريقة والتعريف بمؤسسها الطوسي انموذجاً.

وجدير بالذكر ان البحثين السابقين لا يمسان الموضوع الحالي الا في بعض الجوانب التفسيرية، لذا ستقتصر اشارتنا اليهما بشكل موجز من دون اجراء عملية مقارنة أو مناقشة.

١. دراسة: حسين عيسى الحكيم ١٩٧٥م.

اسم الدراسة: الشيخ الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن/ رسالة ماجستير

لقد كانت هذه الدراسة في ستة فصول يبحث الفصل الأول منها (عصر الشيخ الطوسي) وهو عصر مهم في تاريخ العراق السياسي والفكري، تعاقب فيه على الحكم البويهيون والسلاجقة في ظل الخلافة العباسية.

اما الفصل الثاني فقد تناول (حياة الشيخ الطوسي) العلمية في بغداد والنجف وانجازاته الفكرية في عهد أستاذيه: الشيخ المفيد والشريف المرتضى، وفي عهد

زعامته الدينية، وما تعرض له من مخاطر ومحن هددت حياته بالخطر، أولاً توفيقه في النجاة بنفسه وفراره إلى النجف، وقد استغل فترة مكوثه ببغداد، لتوثيق علاقاته بشيوخها ودور علمها ومكتباتها.

اما الفصل الثالث فتكلم فيه الباحث عن شيوخه وطلابه وركز الباحث في بحثه على دراسة كتاب (التبيان) الذي يعتبر من أمهات كتب التفسير وبين الباحث مصنفاته ووضح منهجه فيها وركز على الامور التي تتعلق بالفكر والتاريخ بصورة خاصة، وختم بحثه بوفاة الشيخ الطوسي ومدفنه وأولاده.

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم صورة دقيقة عن عالم بارز من أعلام الفكر العربي الاسلامي في القرن الخامس الهجري تميز عن معاصريه من قادة الفكر. ولاسيما في مجالات اختصاصه، بريادته في الكثير من الموضوعات التي عالجها، فضلاً عن موسوعيته التي اتاحت له الإسهام، باصالة وعمق في أكثر أبواب العلوم والمعارف الإسلامية المتداولة في عصره. (٣٧-الحكيم)

٢. دراسة كاصد ياسر حسين الزيدي/١٩٧٥/ في القاهرة/ رسالة دكتوراه.

اسم الدراسة: منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم.

أستعمل الباحث فيها المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. وهي دراسة علمية جادة تناول فيها الباحث منهج الطوسي في تفسيره بموضوعية وتفصيل.

فقد تكلم الباحث عن حياة الطوسي وتفاسير الامامية قبله فتحدث عن التفسير المنسوب للامام العسكري وتفسير العياشي وفرات الكوفي، مبيناً منهج كل منهم. وتحدث ايضاً عن تفاسير الرضي والمرتضى.

ثم تحدث الباحث في الفصل الثاني عن مصادر تفسير الطوسي فقد رجع الطوسي إلى مصادر عديدة متنوعة، منها كتب معاني القرآن، وكتب في الحديث النبوي الشريف والسير، وكتب في القراءات والنحو واللغة، وبين الباحث في اثناء ذلك منهج الطوسي في الإفادة من هذه المصادر الكثيرة.

ثم تحدث الباحث في الفصل الثالث عن مادة التفسير عند الطوسي، وهي النقل عن الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين، والنقل عن الآئمة، وتفسير القرآن

بالقرآن، والتفسير العقلي والتأويل وأخيرا ما في التفسير من إسرائيليات، تكلم الباحث في الفصل الرابع عن القراءات واللهجات وكيف ان الطوسي اهتم بتدوين قراءات الصحابة والتابعين واهل البيت (عليهم السلام).

وكذلك عنايتهُ بالقراءات العشر المشهورة وتوجيهها، وبالقراءات الشاذة. وتكلم أيضاً في الفصل الخامس على اللغة والنحو وعلى تفسير الطوسي اللغوي للألفاظ القرآنية وشواهده اللغوية وآرائه النحوية. وتكلم الباحث ايضاً عن البلاغة في تفسير الطوسي فوقف عند رايه في الأعجاز القرآني وبين مفهوم البلاغة عنده وفنونها الثلاثة: المعاني ، والبيان ، البديع. (٦٠-الزيدي)

الفصل الثالث

المبحث الاول

تاريخ مدرسة النجف الاشرف

تشرفت النجف بمرقد مثال العلم والمعرفة الأمام علي (عليه السلام) الإنسان الذي قال فيه رسول الله (ﷺ) الحديث الشريف (انا مدينة العلم وعلي بابها).(٦٦- السيوطي:ج١:ص٤١٥).

وكان الأولى بهذه المدينة المقدسة ان تصبح بعد زمان محطاً لأنظار العالم الإسلامي يهاجر إليها المئات من طلاب الفضيلة للتفقه، والاشتغال العلمي، وتتوجه إليها نفوس الملايين من المسلمين، ينظرون إليها بعين ملؤها التعظيم والإجلال، والتقديس، وتكون يوما ما مقراً للإفتاء، والتقليد ومركزاً للمرجعية الكبرى.وبرز النجف الاشرف على مسرح التاريخ جامعة علمية دينية لها جذورها القديمة ولها تراثها الأصيل الخاص(٤٩ – الخليلي :ج ٢ –ص ٩-١٠) فإنها تعد امتداداً لمدرسة الكوفة التي غدت معهداً للثقافة العربية الإسلامية، بعد ان اتخذها الامام علي(عليه السلام) عاصمة للدولة العربية الإسلامية. (

٦٨-الشرقي :ص٤٢) (٤٩-الخليلي :ج٢-ص١٧-١٨)وبعد ان استوطن الكوفة اكثر من مائة وثمانية وأربعين صحابياً (١٦- البراقي: ص٤٨٠)، والالاف من التابعين، والفقهاء، والعلماء، وطلاب العلم ، وبذلك اصبحت الكوفة مركزاً للاستقطاب الحضاري وجامعة للعلوم والمعارف فتأسست في مساجدها مدرسة كبرى للعلوم الاسلامية والمعارف العقلية، وعلوم اللغة العربية وآدابها، وقد عرفت بمنهجها العقلي، وفتح باب الاجتهاد وحرية الفكر والتعبير (١٦_البراقي :ص٤٠٨).

وكان للأمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) (٨٠-١٤٨)هـ لهُ دور بارز في ذلك، فقد تزعم الحركة العلمية في الكوفة مدة اقامته فيها. فآزدهرت مدرستها على يده (١٦-البراقي :ص ٤٠٨).

ولكن بعد وفاته في منتصف القرن الثاني الهجري دبّ الضعف في الحركة العلمية في الكوفة، فهاجر كثير من علمائها إلى بغداد لمواصلة مسيرتهم العلمية. وبعض منهم إلى النجف ليؤسسوا لهم مدرسة علمية فيها (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٢٠) (٦٨-الشرقي :ص١٤٠) (٣٧-الحكيم :ص٩٦).

كما توطن في النجف الاشرف قبل منتصف القرن الرابع الهجري المئات من أهل العلم والفضل مثل الفقيه احمد بن عبد الله الفروي- احد تلامذة ابان بن عثمان تلميذ الامام الصادق(عليه السلام) (٩٣-الغفار:ص٨٠).

ولقد لقيت مدرسة النجف الاشرف التي أسست منذ ذلك الحين عناية خاصة من قبل الزعماء الحكام منذ نشأتها، فمثلاً أمر صاحب طبرستان الراعي الصغير (محمد بن زيد العلوي) (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) بان يبنى في النجف حصن فيه سبعون طاقاً، وهذه الطاقات* كالزوايا التي أنشئت في العهد البويهي. (١٢١-ابن منظور: ج١٠-ص٢٣٣) (٦٩-شمس الدين :ص١٠) تكون غرفاً لسكن طلاب العلم، وذلك في القرن الثالث الهجري اثناء خلافة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)، ولقد أصبحت مدرسة النجف الاشرف جامعة عظمى لدراسة العلوم الإسلامية، وعلوم اللغة العربية وآدابها. والعلوم الأخرى التي تعارف العرب المسلمون على دراستها والإقبال عليها منذ القرن الرابع الهجري. (٩٤-غنيمة :ص٤٩) (٩٣ – الغفار :ص٧٩) .

---

* الطاقات : - جمع مفرده الطاق :- وهو ما عطف من الأبنية ، أو هو عقد البناء حيثما كان .

ولكن حدث تحول مهم في مسيرة مدرسة النجف عندما هاجر اليها الشيخ ابو جعفرمحمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) (٩٩٥-١٠٦٧م) عام ٤٤٨هـ على اثر محنة آمتحن الله بها الشيخ العظيم ، وهي حدوث فتنه في بغداد بين الامامين والسلفية المتشددين الذين يكفرون المسلمين ، اضطرته الى التواري ، ثم الهجرة الى النجف(٥-الاصفي :ص٥).

إذ أصبحت لها الصدارة في دراسة العلوم الإسلامية، والتراث العربي الإسلامي، ورفدهما بالاصالة والإبداع حتى أصبحت أوسع واهم جامعات العالم الدينية.

فعندما استقر رأي الشيخ الطوسي على ان ينتقل من بغداد إلى النجف مرقد امير المؤمنين يجدد من نشاطه الإسلامي والتثقيفي، بعيداً عن الغوغائية بعد ان كادت هذه تقضي على ذلك البناء الشامخ الذي أقامه شيخ الطائفة في بغداد الحاضرة الإسلامية الكبرى في ذلك العهد. (٨-امين :ص٣٧٩).

ولم ينتقل الشيخ الطوسي إلى مدينة الإمام علي (عليه السلام) حتى التفت حوله هالة مباركة من طلبة العلم والعلماء المخلصين فوضع بيديه الكريمتين الحجر الأساس لهذا البناء الشامخ في هذه المدينة المقدسة. (٥-الاصفي :ص٥) بقي الشيخ الطوسي اثني عشرة سنة بالنجف الاشرف يدأب بجد لا يعرف الكلل والملل حتى وضع أسس هذه المدرسة العلمية، وكانت تحتاج إلى مؤهلات علمية وأساتذة تضمن دوامها وبقاءها بعد مؤسسها العظيم، فهيأ لها المؤهلات العلمية بما ألف من الكتب والرسائل ضمن لها البقاء وبما ربى من العلماء الأعلام الكاملين في العلم والعمل ومنذ ذلك الحين استقطبت مدرسة النجف الأشرف أفواج العلماء وطلاب العلم من البلدان وأطراف العالم الإسلامي شتى، ليتزودوا منها بالعلوم والمعارف ثم يعودوا فينتشروا في أطراف البلاد الإسلامية لينشروا هذه الأفكار والمعارف التي تزودوا بها ووعوها. (٥-الاصفي: ص ٦) .

أساتذة مدرسة النجف الأشرف وطلابها :-

على الرغم من صغر مساحة مدينة النجف الأشرف، فقد عرفت بأنها محط رجال العلماء، وبغية طلاب العلوم من كل حدب وصوب مع هذا، فأنها حافظت على عروبتها في كل شيء على الرغم من نزوع الأعاجم إليها في طلب العلم(٣٤-الحسيني:ص١٣٢) فلم يكن جل قاطنيها الاعلماء أو متعلمين أو عيالا لهم .(١١٠-محفوظ :ص١٣) .

ويضيف الدكتور حسين علي محفوظ حول هذه الحقيقة بقوله عن النجف الأشرف: (مساجدها مدارس، وجوامعها مدارس، ومحافلها مدارس، ومعاهدها مدارس، وبيوتها مدارس، ومجالسها مدارس ومجامعها مدارس، وأسواقها مدارس، تنتشر الحلقات والدروس ومجالس العلماء والأدباء في كل الأمكنة والبقاع كل المواضع والمواقع في النجف الاشم) (١١٠-محفوظ :ص١٤).

الأساتذة :-

ان أساتذة مدرسة النجف ليسوا بمستوى علمي واحد، بل أنهم سلسلة مترابطة الحلقات، فبعضهم أساتذة لبعض على شكل هرمي، يتربع على قمته مرجع التقليد الأعلى، وهو أعلم علماء هذه المدرسة، وقاعدة الهرم هم أساتذة المرحلة الأولى وهم عادة طلاب المرحلة الثانية الذين أتقنوا دروس المرحلة الأولى وكتبها المقررة دراسة ومباحثةً وفهماً واستيعاباً وهكذا دواليك. (١٢٥-النجفي :ج١-ص٣٧٩)(٩٨–ال الفقيه :ص١٠٩وص١١٣وص١٤٢) .

والأستاذ في مدرسة النجف الأشرف يفرض عليه ان يرتدي الزي العربي الأصيل وهو العمة والجبة العربيتان الإسلاميتان(٢٢-البهادلي :ص٢٦٣). (٦٩-شمس الدين :ص٤٩).

ويلزم الأستاذ بمباحثة زملائه ومذاكرتهم في دروسهم المقررة كل حسب مرحلته الدراسية، وتكون للأساتذة استقلالية فلا يخضعون في مسيرتهم العلمية الا لسلطات المجتهدين وكبار العلماء(٩٧-الفضلي :ص٦٧). (
٢٢-البهادلي :ص١٢٦) .

ويتجه بعض الأساتذة في مدرسة النجف الأشرف إلى التخصص الدقيق في بعض العلوم، فيدرسون فضلاً عن الكتب المنهجية المقررة عدداً من الكتب الأخرى التي لم يقرر اتخاذها كتباً منهجية لدقة مطالبها وصعوبة أسلوبها وعمق مادتها، لأنها لم تؤلف أصلا الا للمتخصصين في ذلك العلم. (
٩٨-ال الفقيه :ص١٥٧-١٥٨) (٦٩-شمس الدين :ص٥١).

ويقوم الطلاب بكتابة محاضرات أساتذتهم ولاسيما طلبة مرحلة البحث الخارج، إذ يكتبون دروس كبار الفقهاء متسلسلة وتسمى هذه الكتابة في مدرسة النجف بـ(التقريرات). وتنتشر هذه التقريرات، وتطبع بعد الملاحظة والتصحيح، مصدرة غالباً بتقريض الفقهية المدرس وبيانه.(٩٧- الفضلي :ص٦٨).

ويسعى الأساتذة إلى بلوغ درجة الاجتهاد العلمية لذا فإنهم يفنون أعمارهم في طلب العلم من أجل تحقيق ذلك، وصولاً إلى مرضاة الله تعالى وعدم خلو الأمة من الفقهاء والمجتهدين. (٦٩-شمس الدين :ص٧١).

ويجب ان يتصف أساتذة مدرسة النجف الأشرف بالتقوى والصلاح والزهد والأخلاق الفاضلة والأدب ومخالفة الهوى،- وان يكون طاهر القلب شريف النسب، محافظاً على شعائر الإسلام، يكثر من تلاوة القرآن وحفظه.

وان يكون طليق الوجه، يفشي السلام، كاظماً للغيظ. (٢٢-البهادلي :ص١١) وقد خصصت مدرسة النجف الأشرف لأساتذتها ولطلابها الرواتب الشهرية وكفلت لهم الرعاية الاجتماعية والاقتصادية. (٢٢–ابهادلي :ص١٢٧).

علماً ان رواتب الأساتذة والطلاب تدفع مما تجمع في ميزانية مدرسة النجف لدى مرجع التقليد الأعلى، والمتكونة من أموال الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس

وغيرها، ومن أوقاف الموقفين وتبرعات المحسنين وهبات الموسورين ونحو ذلك. (٦٩-شمس الدين :ص٥٥وص٨٠).

الطلاب :-

الطالب في مدرسة النجف الأشرف يعمل دائباً من دون راحة ولا انقطاع، حتى في ساعات الراحة، فللدرس أوقات، وللعطلة أوقات، ولكن أيام العطلة هي أيام عمل ونشاط في جهات أخرى، وتسمى أيام الدراسة أيام الاشتغال وتسمى أوقات العطلة أيام التعطيل.

فأما أيام الاشتغال فان الطالب يمضيها بين درس يتلقاه، ودرس يلقيه، ومطالعة في الليل وفي فترة الضحى والزوال، ويكتب دروسه كأنه يؤلف كتاباً في العلم الذي يدرسه، وتدوين الدرس يعد رمزاً للنشاط والجد، وفي الوقت نفسه يكون مقياساً لنجاح التلميذ والأستاذ معاً، (٨٣ –العاملي : ص٨٠).

وبذلك يكون الطالب قد أعطى صورة عن نفسه، فانه ان فهم الدرس دونه، وان لم يفهمه لم يستطع تدوينه، ويكون ما يدونه شاهداً عليه أمام أستاذه وأقرانه.(٨٣ –العاملي : ص ٨٠).

ويجب أن يتصف طالب مدرسة النجف بصفات منـــها:

أن يطهر قلبه من كل سوء ليصلح بذلك قبول العلم وحفظه، وان يخلص النية في طلب العلم، وان يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، وان يقنع من القوت بما تيسر له، وان يبالغ في احترام أستاذه، وان يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه أو إعارة أو تأجير. (٥ –الاصفي : ص١٠).

شخصية الطالب في مدرسة النجف الأشرف:-

للطالب في مدرسة النجف الأشرف شخصية واضحة تميزه من أقرانه في سائر المدارس والمراكز العلمية، وتمتد سمات هذه الشخصية في حياته الفكرية، والمادية وتطبع آثاره وأعماله في مجالات الحياة المختلفة.

ولا يمكن معرفة ذلك إلا عن طريق معرفة العوامل الفكرية والمادية التي كونت هذه الشخصية والتي تضم بعض الخواص الآتية:-

١. الاستقلالية:-

لم يتعود الطالب في النجف الخوض في الأطر السياسية. مهما كان شكل هذه الأطر ومهما كانت الظروف السياسية.

فقد ظلت مدرسة النجف تحتفظ بشخصيتها الإسلامية المستقلة في خضم الأحداث السياسية التي مرت على البلاد الإسلامية، وفيما ظهر في البلدان الإسلامية من تيارات سياسية وعقائدية. (٥- الاصفي :ص١٤).

ونحسب ان ذلك راجع لحرص الطالب على تحصيله العلمي بعيداً عن المؤثرات الأخرى مهما كان نوعها وجنسها فغايته التحصيل العلمي وخدمة القرآن الكريم، والسنة المطهرة ونشر ذلك في الآفاق الإسلامية ولعل انشغاله بالأمور السياسية يعيقه عن أداء رسالته بعض الشيء.

٢. التعمق:-

والتعمق يعني الخوض في دقائق الأمور، فالطالب في مدرسة النجف لا يؤمن بمبدأ الدرس للامتحان، ويعتقد بان الدرس ينبغي ان يكون للدرس فقط، ولما يتوخاه الطالب من رسالة فيما وراء الحياة الدراسية، فانه طوال حياته العلمية يهدف إلى التحصيل العلمي بعيداً عن ان يقيد بزمان أو امتحان يجعله مقيداً بمنهج معين من دون غيره فالدراسة الحرة كما يراها طالب تلك المدرسة تحقق له شمولية التعليم وتفتح أمامه مجالات أخرى واسعة في البحث والتحصيل فطبيعة الامتحانات تتطلب من الطالب الاهتمام بتحضير المادة الدراسية إلتى تلقى

عليه، أكثر من الاهتمام بالتعمق بالمادة الدراسية التي تعطى للطالب، وتحليل المحتوى من رأي أو فكرة. (٥-الاصفي :ص١٨).

إن الدراسة الحرة تدرب الطالب على التفكير المعمق فيما يلقى عليه من مادة أكثر مما يدربه على الحفظ، وبهذا الشكل تتغلغل هذه الظاهرة الفكرية في حياة الطالب الدراسية، ويتعود التفكير فيما يلقى عليه من مادة منذ نشأته الدراسية الأولى. (٥ ـالاصفي : ص ١٩)(٢٢-البهادلي:ص١٠٦).

وفيما يفتح الطالب عينه لأول مرة على كتاب (الأمثلة) وهو رسالة صغيرة في الاشتقاق يبتدئ به الطالب حياته الدراسية، يواجه هذه الجملة ــاعلم رعاك الله- فيدعو الأستاذ الطالب ان يسأل نفسه لماذا ابتدأ المصنف الكتاب بقولهُ: اعلم رعاك الله دون ان يقول أقرأ؟

فيجيب الأستاذ، بان الغرض من الدراسة ليس القراءة والحفظ، بل هو الفهم والإدراك والتفكير.

وهكذا يتدرج الطالب الناشئ منذ أولى خطواته في الحياة الجديدة على التفكير والتعمق والمناقشة والنقد. (٥ ـالاصفي : ص١٩).

ولو أجرينا عملية إحصائية سريعة لعينة من الطلاب حول التحصيل العلمي ومراجعاتهم للمواد العلمية من أجل اداء الامتحان لوجدنا النسبة الكبرى من تلك العينة تشير إلى ان استعداد الطلبة للتحصيل العلمي متعلقاً بالامتحان وأدائه واجتيازه ولعل نسيان المواد بعد الامتحان دليل على ان الدراسة من اجل الامتحان تجعل الطالب منشداً نحو الامتحان فإذا انقضى انقضى معه كل شيء في حين ان الدراسة الحرة تجعل الطالب مشدوداً للتحصيل العلمي بعيداً عن الامتحان واجتيازه، بمعنى ان الدراسة الحرة تنمي الشخصية وتنمي عامل الحرص لديه وتنمي قابليته وقدراته بعيداً عن دافع الامتحان وما يترتب عليه من تقدم أو تأخر.

٣. حرية الاجتهاد بالرأي:-

وحرية الاجتهاد بالرأي من العوامل البارزة التي تدخل في تكوين الشخصية المعمقة للطالب .

فمن حق الطالب ان يقطع على الأستاذ المحاضر درسه ويناقشه في آرائه، ولا يجد الأستاذ مهما بلغت مكانته العلمية حرجاً في نفسه ان ينزل عند رأي الطالب إذا كان يجد الحق في جانبه.

فكان الطالب لا يترك فرصة تمر عليه من غير ان يستغلها في إثارة شيء من المسائل التي كانت تمر عليه في حياته الدراسية التي كانت تشغل باله أكثر من أي شيء آخر (٥ ـالاصفي : ص٣١).

ولعل هذا عامل رئيس في تنمية الشخصية العلمية وتدريب الطالب على الجرأة في إبداء آرائه العلمية والسؤال عن كل صغيرة وكبيرة بعيداً عن عامل الحرج، فالتحصيل العلمي غايته وهدفه.

٤. الاحتكاك الفكري:-

يرتاد النجف الأشرف طلاب من بلدان مختلفة، ويلتقي في معاهد هذه المدينة ونواديها البعثات العلمية التي تقصد النجف من نقاط بعيدة من الشرق والغرب.

وتحمل كل طائفة إلى النجف ذهنيتها القومية اوالقطرية الخاصة، وما تحمل هذه الذهنية من تجارب فكرية وعادات وتقاليد، تأصلت في أفكارهم طيلة عصور طويلة.

فالكثير من هذه التجارب التي يحملها هؤلاء إلى هذه البيئة الجديدة تجارب غنية بالعطاء في التفكير والتعبير والصياغة والأدب والدعوة، وتلتقي هذه الذهنيات المختلفة وما تحمل من تجارب فكرية على صعيد الحياة الدراسية في المدرسة النجفية وتنسجم في حياة فكرية مؤتلفة تجمعها وحدة الهدف ووحدة الدراسة ووحدة البيئة.

والاحتكاك الفكري الذي يحصل بين هذه الذهنات المختلفة على صعيد الدراسة يفتح آفاقا فكرية واسعة في التفكير والصياغة والتعبير والأدب أمام الفكر النجفي،

ويعود الطالب علـــى المرونة في التفكيـــر والبحث. (٥-الاصفي :ص٣٨-٣٩)(٢٢-البهادلي:ص١٠٧).

والنتاج الفكري الضخم في هذه المدرسة يتصل بأكثر من تجربة فكرية ويمثل أكثر من ذهنية واحدة، ويملك عناصر المرونة والبقاء ما لا يملكه أي نتاج فكري آخر في كثير من الأحوال. (٥ -الاصفي: ص٣٩).

ولقد عملت مدرسة النجف على اجتذاب الطلاب من مختلف أقطار العالم الإسلامي، إيمانا منها بعالمية رسالتها وشمولية دورها، فقبلت في صفوفها الطلاب بغض النظر عن جنسياتهم وقومياتهم وأعراقهم عملا بقوله تعالى "ان أكرمكم عند الله اتقاكم" الحجرات/١٣. ولذا فقد نجحت في نشر العلوم والمعارف الإسلامية في البلدان الإسلامية وأثرت ايجابياً في شعوبها. (٢٢ - البهادلي :ص ١٠٧).

وهذا أدى إلى تميز علماء وفقهاء مدرسة النجف الأشرف على امتداد تاريخها بمعارفهم وتضلعهم في العلوم، وهذا كان دافعاً حدا بطلاب العلوم من مختلف جهات العالم الإسلامي إلى الدراسة في مدرسة النجف بهدف التزود من علومها، لأنهم يجدون فيها الأساتذة الأكفاء والمكتبات وأماكن لأقامتهم وسكناهم مع كفالة مؤونتهم وعوائلهم.

منهج مدرسة النجف في تنظيم شؤون طلبتها : -

إنَّ مدرسة النجف تحتضن على امتداد مسيرتها العلمية أعداداً كبيرة من طلاب العلوم والمعارف، لذلك سنت منهجاً نظمت به شؤونهم تتمثل بما ياتي:-

١. ليس للانتساب لمدرسة النجف قيد أو شرط ومثله الخروج منها. (٢٢ –البهادلي :ص١٠٧).(٩٨-ال الفقيه :ص١٤١).
٢. كفلت مدرسة النجف لطلابها الرعاية الاجتماعية والاقتصادية فخصصت لهم الرواتب الشهرية التي تفي بمتطلبات معيشة الطالب وأسرته ووفرت لهم السكن المجاني، فكانت المدارس أقساماً داخلية لطلابها. (٢٢-البهادلي:ص١٠٧).
٣. يفرض على الطالب في مدرسة النجف الأشرف ارتداء الزي العربي الأصيل فيلبس العمة والجبة الإسلاميتين. (٩٨-ال الفقيه :ص١٠٩وص ١١٣).
٤. تعارف في مدرسة النجف ان الطالب أول ما يرد عادة إليها فأنه يرد على طلاب بلده أو مدينته، أو منطقته التي يسكنها أصلاً، فيقيم معهم ثلاثة أيام أو أكثر، يستفسرون من خلالها عن أموره فيتعرفون على شخصيته ونسبه، وعلى حصيلته الثقافية، ويختبرون معلوماته ثم يتداولون أمره فيما بينهم على انفراد ، فان تبين انه يصلح للدراسة فيها، أعانوه وذللوا له الصعاب، بان يعينوا له الدروس التي ينبغي عليه الالتحاق بها، ويرشدوه إلى الكتب الدراسية التي تناسب مؤهلاته، بعد ان يجدوا له أستاذاً كفوءاً في التدريس صالحاً لتوجيهه الأخلاقي.(٩٨-ص١٤٢).
٥. اهتمت مدرسة النجف اهتماماً كبيراً بتربية طلابها فاتخذت كل ما يلزم لتهذيب نفوسهم، وتطبعهم بطابع الدين والتقوى وتنشئتهم على الإخلاص والتمسك بمثل الإسلام العليا والتخلق بأخلاق الرسول (ﷺ) وأهل بيته وأصحابه. (٩٨-ال الفقيه :ص١٤٣-١٤٥).

٦. منح الحرية لجميع الطلاب في الدراسة والتدريس والرأي والتعبير والاجتهاد شرط ان تتقيد بأحكام الدين الحنيف، وان لا يتنافى مع الضوابط العلمية المتعارفة فيها. (٩٨-ال الفقيه :ص١٤١).

٧. يلزم الطالب بنظام (المباحثة): وهو: ان يتفق طالبان أو أكثر على مراجعة دروسهم التي يتلقونها ومذاكرتها درساً درساً، فيتفقون على زمان ومكان معينين لمباحثتها، إذ يقوم كل مرة طالب معين منهم بدور الأستاذ بالتناوب، فيعيد الدرس ويقرره على زملائه الذين يشاركونه في الشرح والتعليق والمناقشة وبحرية تامة من الطرفين. (٩٧-الفضلي :ص٦٧) (٦٩-شمس الدين :ص٥٤). وهذا يؤدي إلى ترسيخ المادة في أذهان الطلبة وتهيئتهم للتدريس فيما بعد.

٨. يفرض على الطلاب في مدرسة النجف ان يباشر تدريس الكتاب المنهجي المقرر إذ ما أصبح متقناً لمطالبه، بصيراً بمباحثه وذلك بعد ان يكمل دراسته على أستاذ كف وبعد ان يباحث زملاءهُ في مادته العلمية. (٩٨-ال الفقيه :ص١٠٩وص١١٣).

٩. اهتمت مدرسة النجف بتكوين الشخصية المتميزة للطالب فعملت على ان تكون شخصيته قوية لا تعرف الضعف والخوار ، ولذا منحته حرية مطلقة بإبداء الآراء ومناقشتها.(٢٢-البهادلي :ص١٢٣). مما يجعله يتصدى لعملية التدريس وعقد الحلقات الدراسية فشخصية الطالب لا تقتصر على مدة تحصيله العلمي وإنما تمتد امتداد حياته وسني عمره فبعد تحصيله العلمي يأتي دوره في التأليف والتدريس مما يجعله أحد طلبة العلم الذين يواصلون العطاء دون توقف.

العلوم التي تدرس في مدرسة النجف الأشرف :-

لقد اهتمت مدرسة النجف الأشرف بتدريس العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية والعلوم الأخرى سواء أكانت علوماً علمية صرفة أم إنسانية مما تمس حاجة الأمة إليها لبناء صرحها الحضاري.

فقد كانت علومها منهجاً دراسياً متكاملاً، فقد اهتمت مدرسة النجف بتدريس اللغة العربية فألزمت جميع طلابها بان يبدأوا أولا بدراسة علوم اللغة العربية وإتقانها بكونها لغة الدراسة والتدريس فيها. (٦٩-شمس الدين :ص٥٤) (٩٨-ال الفقيه :ص١٥٤) (٤٩- الخليلي :ج٢ –ص٩٣) .

فقد اهتمت المدرسة بتحفيظ القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وروائع ما أثر عن بلغاء العرب وفصحاء المسلمين (٩٨-ال الفقيه :ص١٥٨) .

ولقد كان لمدرسة النجف دور أساسي في نشر اللغة العربية بين المسلمين العرب وغير العرب، وذلك حين أوجبت على طلابها بمن فيهم غير العرب تعلم اللغة العربية، ليعودوا إلى أوطانهم متقنين اللغة العربية بطلاقة، ومتأثرين بالتراث العربي ، لا بل ويدرسونه في بلدانهم. (٦٩-شمس الدين :ص٥٤).

ولم تقتصر مدرسة النجف على كتاب معين يدرسه الطالب في علم من العلوم، فللطالب ان يتوسع ويقرأ ويدرس أي كتاب شاء، ويرغب فيه،ويستطيع ان يتفهمه وينسجم معه. ولكن هناك مناهج مشهورة في نطاق الحوزة العلمية تداولها المحصلون والمشتغلون، فأصبحت بحكم التداول والاستمرارية هي المعروفة دون غيرها، ولشهرتها نذكرها: (٤٩- الخليلي :ص١٠٠).

١. علم النحو:-

فقد كان يلزم الطالب دراسة علم النحو من أجل تحصيل ملكة الفصاحة والابتعاد عن اللحن في الكلام، ولفهم لغة القرآن ومعانيه، وأسرار الحديث الشريف.

٢. علم الصرف:-

وهو علم يبحث فيه عن قواعد أبنية الكلمة العربية وأحوالها وأحكامها غير الأعرابية، أي: تبيان كيفية تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها وعدد حروفها وحركاتها، وترتيبها، وما يعرض لذلك من تغيير أو حذف وما في حروف الكلمة من أصالة وزيادة. (٩٧-الفضلي :ص٧).

وكانت المدرسة تدرس طلابها علم الصرف، حتى يتمكنوا من النطق بالكلمة العربية كما نطق بها العرب الفصحاء.

٣. علوم البلاغة العربية :-

وهي:

أ. علم المعاني: وهو العلم الذي يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع .

ب. علم البيان: وهو العلم الذي يحترز به عن التعقيد المعنوي.

ج. علم البديع: وهو العلم الذي يراد به تحسين الكلام (١٣٣-الهاشمي :ص٤) .

٤. علوم اللغة والعروض :-

لقد اهتمت مدرسة النجف اهتماماً كبيراً بتدريس علوم اللغة، وفقه اللغة والعروض والقوافي. وكانت تمنح الطالب الحرية في دراسة هذه العلوم دون تفضيل بعضها على بعض، بل تركت حرية الاختيار للطالب والأساتذة وبما يتناسب مع ذوقهما الأدبي: (٩٧- الفضلي :ص٥٩).

---

١) التعقيد المعنوي :- يقصد به ، هل المعنى واضح الدلالة أم غير واضح الدلالة .

٥. دراسة الأدب العربي:-

لقد كانت لدراسة الأدب العربي مكانة مهمة في مدرسة النجف، حتى ان أساتذتها وطلابها حفظ كثيرا من القصائد والخطب، ومطالعة دواوين الشعر العربي، وكتب الأدب النثري، والنقد الأدبي. (٩٧- الفضلي :ص٦٠). (٩٨-ال الفقيه :ص١٦٢) .

ولقد ألزمت مدرسة النجف طلابها دراسة كتب النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والإطلاع على اللغة ودراسة الأدب العربي وذلك من أجل ان يتذوق الطالب ألفاظ القرآن الكريم فصاحة ، وتدبر إعجازه وأيضا فهم الحديث الشريف، ومن أجل ان تحصل لدى الطلبة ملكة البلاغة، وان يتمكنوا من صوغ الكلام بطريقة تبين مقاصد المتكلم، وتوصل ما يريده إلى نفس السامع. وتزويد الطالب بحصيلة معرفية في علوم العربية.

٦. علوم القرآن الكريم والحديث الشريف :-

لقد اهتمت مدرسة النجف بتدريس علوم القرآن الكريم والحديث الشريف وان هذه العلوم كانت تلازم الطالب في جميع أطوار دروسه، فقد كانت تدرس ضمن مباحث ومطالب الكتب الدراسية المقررة في علمي الفقه وأصوله. (٩٨- ال الفقيه :ص١٥٨) .

وكان الأساتذة في المراحل كافة يعرضون في أبحاثهم بالشرح والتحليل لموضوعات ومسائل هذه العلوم وذلك بالرجوع إلى مصادرها (٩٧-الفضلي : ص٦٠) .

وهذا يلزم الطلاب بان يراجعوا ويقرأوا بتدبر تلك المصادر ومن ثم يناقشوا ويحاوروا أساتذتهم في مباحثها ومضامينها بحرية مطلقة (٩٨-ال الفقيه :ص١٥٨) .

٧. علم الفقه :-

وهو (العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية. (٢٩-الجزائري :ج١:ص٤٠) (٨٣ –العاملي :ص١٤٠) .

وقد اهتمت مدرسة النجف بهذا العلم، لان به يقام الدليل على مشروعية الموقف العملي لكل مكلف.

٨. علم أصول الفقه:-

وهو (العلم بالقواعد التي تقع بنفسها في طريق استنباط الأحكام الشرعية الكلية الالهية ، من دون الحاجة إلى ضميمة[١] كبرى أو صغرى أصولية أخرى إليها) (١٠٠-الفياض :ج ١:ص١١).

أو هو (العلم بالقواعد الممهدة لاستنباط الأحكام الشرعية الفرعية) (١٠٠ –الفياض :ج١:ص١١) .

والغاية من هذا العلم هو معرفة أحكام الله تعالى والامتثال بها، أي: تيسير طريق استنباط الأحكام الشرعية مقدمة لامتثالها والجري عليها، والغرض من ذلك هو الخروج عن عهدة تلك الأحكام، وبراءة الذمة عنها والأمان من العقاب بمخالفتها، ونيل الثواب بموافقتها. (١٠٠-الفياض :ج١:ص١١) (٣٨-الحكيم :ج١-ص٧) .

٩. علم أصول الدين :-

وهو (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة) (٢٧-التهانوي :ج١-ص٢٠) .

وسمي هذا العلم بـ (علم أصول الدين)، لأنه أصل المعارف الدينية لابتنائها عليه وتفرعها منه، ولأنه يتكفل ببيان ما يعتبر من أصول الدين وأركانه التي لا يتم الأيمان بدونها (٩٠-عليان :ص١٨).

---

[١] ضميمة :- شيء ينضم إلى المعنى سواء من الكبريات أو الصغريات أي قرينة أو دليل اضافي

ولقد اهتمت مدرسة النجف بتدريس هذا العلم لأهميته في إثبات العقائد الإسلامية، ونصب الأدلة على صحتها وبطلان ما سواها ودفع الشبهات عن نفوس المسلمين،لان هذا العلم يعتمد منهج البحث والنظر والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات العقائد الدينية التي ثبتت بالوحي، ووظيفته هي الاحتجاج العقلي على صحة العقائد الإيمانية ودفع الشبهة، ورد الخصوم عنها. (٩٠ –عليان :ص٢٦).

١٠. علم المنطق :-

وهو (علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية والتصديقية من معلوماتها، وموضوعة المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول أو النفع فيه). (٥٠-خليفه :ج٢-ص١٨٦٢).

وقد درست مدرسة النجف علم المنطق لطلابها. ليتمكنوا من معرفة القواعد العامة للتفكير الصحيح ومعرفة طرق الاستنتاج، وتنظيم أفكارهم وتعديلها. (١١٣-المظفر :ج١-ص٩-١٠) .

١١. علم الأخلاق: -

اهتمت مدرسة النجف بتدريس الأخلاق الإسلامية ، لان الأخلاق أهم عنصر في تكوين الفرد المثالي والأسرة السليمة، والمجتمع الراقي والدولة الناهضة، فالأخلاق القويمة هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال وتصون الحضارة من الضياع، ومن دونها لا تنهض الأمم ولا تقوى إلا بها، فالعلم والأخلاق دعامتان من الدعائم الأساسية التي لا تستغني عنها المجتمعات، كما لا تستغني القوانين عن الضمائر الحية التي تساعد على تطبيقها. (٤٢-حنفي : ص٥٥) .

فالإسلام قد شمل بتعاليمه جميع جوانب الحياة، فنظم علاقة الفرد مع ربه، وعلاقة الفرد مع الفرد الآخر من أبناء جنسه وعلاقة الفرد مع نفسه ولم يترك فضيلة من الفضائل إلا دعا إليها وحث على التمسك بها، ولم يدع رذيلة من

الرذائل إلا نبه من أخطارها وأمر بالابتعاد عنها، حتى غدت حياة الإنسان منظمة على وفق قانون الهي محكم دقيق. (١٤-بدران :ص٦).

فاهتمام مدرسة النجف بتدريس الأخلاق الإسلامية لطلابها كان اهتماماً كبير وذلك من اجل وقاية أبنائها من الأمراض الأخلاقية التي تفتك بالمجتمع وسعت بتعاليمها إلى تبنية طلابها من أخطار الأخلاق الفاسدة والدعوة إلى الابتعاد عنها، حتى يضل بنيان الأمة قوياً متماسكاً.

١٢. الفلسفة :-

تعد الفلسفة من العلوم التي احتدم حولها الجدل والنقاش طيلة العصور المختلفة والمجتمعات البشرية المتباينة، وقد ظلت محط أنظار واهتمام العلماء والمفكرين بحكم اشتغالهم بالعلم والمعرفة والفكر للوصول إلى اعم وأرقى قوانين العلم التي تحكم سير الظواهر والتنبؤ بها.

ولأهمية الفلسفة بهذا الشكل فقد اهتمت مدرسة النجف بدراسة وتدريس مباحث الفلسفة الغائية والطبيعية. (٩٧-الفضلي : ص٦٠).

فالطالب في مدرسة النجف كان أكثر حاجة لمعرفة أسرار الكون وما وراء الكون من اجل المساهمة في بلورة نظريات الفلسفة الإسلامية ومناقشة آراء الفلاسفة والاحاطة بالأساليب الفلسفية للرد على الفلاسفة المخالفين للعقيدة الإسلامية.

١٣. ضمت الدراسة في مدرسة النجف علم الفلك والطب والقانون والكيمياء والعلوم وغيرها... .(٩٨-ال الفقيه :ص١٦٢) .

نستنتج من هذا كله ان مدرسة النجف اهتمت بتدريس العلوم بأنواعها فاتسمت بالشمولية العلمية، اذ درست فيها ابرز العلوم التي عرفت بغزارة مادتها العلمية، لتكون من مقرراتها الدراسية التي كان الطلبة يدرسونها، وهذا يفسر لنا

ما عرف عن خريجي مدرسة النجف من أنهم كانوا ذا علمية رصينة وحس بلاغي وسليقة عربية سليمة. وأصبح الكثير منهم علماء بارزين .

وبذلك يمكننا القول ان مدرسة النجف الأشرف تمثل في ما يعرف بالجامعة العلمية إذ يقف في ضلال خيمتها جمع من مريدي العلم مع ما يتماشى مع القواعد الراسخة لتقديم رسالة وشهادة علمية عالمية مشهودة بالثقة والتصديق الإسلاميين ذات المكانة المرموقة . فالطالب ومكانته ومستواه ورغبته من جهة، والشيخ المعلم وأساليبه التربوية من جهة، والمنهج وعلاقته بالواقع من جهة أخرى وهذه الأركان الثلاثة بتظافرها كونت رسالة مدرسة النجف العلمية.

المبحث الثاني

مراحل الدراسة في مدرسة النجف وأسلوب التدريس فيها:-

لا يختلف أسلوب الدراسة في مدرسة النجف كثيراً عن سائر المدارس الإسلامية القديمة في نوعية التدريس الا في بعض المواضع التي ساشير اليها،

وإنما تمتاز هذه المدرسة بطريقة تحصيل ملكة الاجتهاد في الفقه . (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٩١) .

وثمة اختلاف آخر: هو ان الطالب في مرحلة دراسته في هذه المدرسة، لا يفكر بان ينال شهادة أو يجتاز عقبة امتحان رسمي ليحظى بوظيفة، انما يفكر ويطلب العلم لنفسه. (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٩١).

ومن مميزات هذه الدراسة، ان الطالب حر في اختيار المدرس ولم يسع المدرس التخلف بوجهه إذا كانت لديه فرصة من الوقت –ولم يكن هذا الدافع خوف السلطة الزمنية- وضغطها على المدرس بالتخلف عن الاستجابة للتدريس وإنما هي طبيعية في النجف الأشرف ،اذ مبنية على هذا المنهج، فهو باستجابته يلبي دعوة الواجب الديني فقط، فيكون عمله خالصا لوجه الله سبحانه وتعالى.(٤٩ –الخليلي : ص٩١).

ويمر الطالب بثلاث مراحل ليصل إلى غايته المنشودة هي (مرتبة الاجتهاد)، فلا ينتقل إلى المرحلة اللاحقة إلا بعد إكماله المرحلة السابقة بإتقان ونجاح، **والمراحل هي:**

المرحلةالاولى:- دراسة المقدمات أو الدراسات التمهيدية: وتقوم مقام (الدور الابتدائي) .

والمقدمات: من مصطلحات المدرسة النجفية، يراد بها الدروس الأولية وتدريس فيها علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق والمعاني والبيان والعروض والنصوص الأدبية والفقه. (٢٢-البهادلي :ص٢٢٧). (٤٩-الخليلي:ج٢-ص٩٢) .

وفي هذه المرحلة تكون الدراسة فردية في الأكثر، وان كان من الممكن ان يشرك عدد من الطلاب في درس من دروس هذه المرحلة.

بمعنى ان يتلقى الدرس عند الأستاذ عدد محدد من الطلاب قد يكون واحداً أو أكثر. وخطة التدريس الانفرادي انجح للطالب وأجدى، لان الأستاذ يتوجه إليه وحده، وقد يشعر منه انه لم يفهم الدرس فيعيده له لوقته ، وقد يطلب التلميذ

أعادته في اليوم التالي، وعلى الأكثر ان الأستاذ لا يغادر الدرس إلا بعد أن يفهمه للطالب. (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٩٢) (٩٨-ال الفقيه :ص١٠٥) .

وكثيراً ما يوجز الأستاذ الدرس السابق قبل الشروع في الدرس الجديد، ومن الطبيعي ان يفهم التلميذ الدرس فهماً كاملاً بقدر موهبته وموهبة الأستاذ، اما الدراسة غير الانفرادية فليس لها هذا الأثر، لان الطلاب يتفاوتون في الموهبة، والأستاذ لا يتمكن من إضاعة الوقت على الأذكياء بتكرير الدرس على من دونهم في الذكاء ، ومن اجل هذا نجد ان التدريس المتعارف عليه اليوم في المدارس يذهب بحق كثير من الطلاب، فبعضهم يستطيع ان ينهي صفين في سنة واحدة لو اتيح له الدرس الفردي، وبعضهم يستطيع ان ينهي صفه لو اتيح له ذلك، والأول ينهي صفاً واحداً في سنة عندما يكون مشتركاً مع الطلاب الذين هم دونه في الموهبة والآخرون كثيراً ما يرسبون. (٩٨-ال الفقيه :ج٢:ص١٠٦).

وتترك للطالب حرية اختيار الأستاذ الأقدر والاكفأ على تفهيمه مطالب الكتب الدراسية، وأيضا تكون للطالب حرية اختيار الكتاب الذي يروم درسه.

وللأستاذ والتلميذ حرية اختيار مكان الدرس وزمانه ومدة الدرس اليومي من نصف ساعة إلى ساعة حسبما يناسب الأستاذ والتلميذ وموضوع الدرس (٩٨-ال الفقيه :ج٢:ص١٠٩) (٢٢-البهادلي: ص٢٢٨) .

وتعطي منهجية التدريس في مدرسة النجف حرية الفكر للطالب ، فله أن يناقش أستاذه قبل الدرس وبعده وفي أثنائه، والغرض من منح الطالب هذه الحرية توجيهه وتمرينه على دقة الملاحظة، وتنمية ملكه الجرأة والشجاعة الأدبية في نفسه ومن ثم بلورة شخصيته العلمية. (٤٩ –الخليلي:ص٩٢) (٩٨-ال الفقيه :ج٢:ص١٠٨) .

أما أسلوب التدريس في هذه المرحلة فهو :-

بعد ان يتفق الطلاب والأستاذ على تعيين الكتاب والزمان والمكان، ثم يحضرون جميعا قبل الموعد بوقت يسير، فإذا حان الوقت قدم احد الطلاب كتابه

للأستاذ وفتح الآخرون كتبهم واشترك من لم يصحب كتابه مع احد رفقائه بالنظر إلى كتاب واحد ، فيشرع الأستاذ بالدرس بعد التسمية والتحميد والصلاة على النبي واله ويذكر بإيجاز الدرس السابق ثم يبدأ بالدرس الجديد فيقرأ مطلباً واحداً في عبارة الكتاب، ثم يشرع في توضيحه للطلاب، وربما قضى مدة الدرس في بيان مطلب واحد مهم، كما إذا كان يتضمن قاعدة كلية مشكلة أو غير مدونة في الكتاب وكان فهم ما في الكتاب يتوقف عليها، ثم يسأل الأستاذ طلبته عما شرحه لهم إذا كان لديهم أي سؤال أو إذا لم يفهم احد الدرس أو عبارة منه . (٩٨-ال الفقيه :ص١٠٧) (١٣٤-الهلالي :ص١٠٣) .

وإذا تخلف بعض الطلاب يوماً ما لعارض تفقده الأستاذ والتلاميذ وتساءلوا عن سبب تأخره، فان كان مشروعاً أعيد له الدرس بصورة مجملة، ولاسيما إذا كان صعباً وإذا تكرر منه التخلف عن الوقت سقط حقه، للقاعدة المشهورة عندهم وهي (الدرس لمن حضر) وهذه القاعدة تحفظ نظام الدرس، وتضطر الطالب للاهتمام بالوقت مضافاً إلى ازدراء الأستاذ والطلاب بالمتخلف وتهاونهم بالتهاون، ومعالجة تهاونه بالأساليب الكثيرة (٩٨-ال االفقيه :ص١٠٧) . ومدة هذه المرحلة من ثلاثة إلى خمس سنوات (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٩٥) .

المرحلة الثانية: مرحلة دراسة السطوح وتقوم مقام الدور المتوسط :-

وهي الدراسات الوسطى في المدارس الدينية وقبلها دراسة المقدمات وبعدها البحث الخارج وهي دارسة متن الكتب الموضوعة في الفقه الاستدلالي واصول الفقه والكلام والفلسفة وغيرها.

ويتبع في هذه المرحلة محاكمة الآراء ومناقشتها بحرية كاملة (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٩٦) .

ويجري التدريس في هذه المرحلة على أسلوب أو نظام الحلقات، اذ يجتمع أكثر من طالب في مجلس أو درس احد المدرسين، وربما اشترك عشرة طلاب في درس واحد يشكلون حول أستاذهم حلقة دراسية، ويختلف عدد الطلاب في كل حلقة حسب اختلاف المدرس وتفوقه في أسلوب التدريس، وسعة إطلاعه، كما ان الحرية واسعة للطالب في اختيار الكتاب والدرس(٩٧-الفضلي :ص٦٧).

وأسلوب التدريس في هذه المرحلة تكون بقراءة عبارة الكتاب ثم تفسيرها وان كان هناك اعتراض على رأي صاحب الكتاب، أو غيره من العلماء، شرحه الأستاذ وبينه لطلابه، كما يشرح آراء العلماء موضحاً مرادهم، ومن ثم يناقشها بحرية تامة متبعاً احد الأساليب الاتية:-

الأسلوب الأول:- أن يوضح المطلب الذي هو موضوع البحث بطريقة السؤال والجواب، وذلك بان يطرح الأسئلة والإشكالات مع بيان أجوبتها، فيطرح السؤال الأول ثم جوابه، وهكذا يتسلسل حتى يصل إلى بيان الرأي الراجع مع دليله. (١٣٤-الهلالي :ص١٠٣) (٩٧-الفضلي:ص ٦٨) .

الأسلوب الثاني:- أن يتناول الأستاذ موضوع البحث فيجزئه إلى أقسام ثم يحلل كل قسم منه إلى أجزاء، حتى يصل إلى أدق الأقسام والمسائل فيكثر فيه التمحيص والبحث. (١٣٤-الهلالي :ص١٠٣) .

إن كل سؤال من الأسئلة التي يوجهها الأستاذ يمثل رأياً علمياً في موضوع الدرس، وكل جواب يمثل رداً عليه، فيبين الأستاذ كل الآراء في المسألة الواحدة ويناقش أصحابها من العلماء ثم يرجح فيما بينهم.(١٣٤-الهلالي :ص١٠٤) .

والطالب في هذه المرحلة له الحرية الواسعة في المناقشة والاعتراض، ومباحثة الأستاذ، بشرط ان يكون النقاش علمياً وفي حدود الدرس، وله في أثناء أو قبل أو بعد الدرس، فعلى الأستاذ ان يقنعه وإذا أتضح خطأه لدى الأستاذ وأصر عليه زجره ولاسيما إذا أتضح خطأه لرفقائه، وربما يكون الحق في جانب التلميذ وحينئذ يوافقه الأستاذ ويتقبله منه ويشجعه، وربما يوجد في الطلاب من لا يجرؤ على المناقشة في أثناء الدرس، فيناقش قبله أو بعده، وإذا كانت المناقشة ذات

أهمية ذكرها الأستاذ بمناسبتها ونسبها للتلميذ تكريماً وتشجيعاً. (٩٨-ال الفقيه :ص١٠٨).

كما ان للطالب الحرية في اختيار الحلقة الدراسية التي ينظم فيها.

أما العلوم التي تدرس في هذه المرحلة فهي: الفقه الاستدلالي، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، والفلسفة، والتفسير وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الرجال، وعلم الأخلاق....، وبعضهم يدرس:- الهندسة والطب والفلك والتاريخ والأدب. (٤٩-الخليلي :ج٢-ص٩٦) (٩٨-ال الفقيه :ص١٦١-١٦٢).

ولما كانت السطوح أكثرها استدلالية فان دراستها والاستفادة منها توسع ذهن الطالب، وتمنحه مقدرة خاصة لاقامة الدليل، أو رد البراهين والدعاوى. ومدة مرحلة السطوح عادة من ثلاث إلى ست سنوات، وقد تزيد أحيانا عن ذلك. (٤٩-الخليلي :ص٩٦).

المرحلة الثالثة: مرحلة البحث الخارج وتقوم مقام الدراسة العليا:-

وهي المرحلة التي يحضر فيها الطالب دروس كبار العلماء المجتهدين، هي آخر مرحلة من مراحل الدراسة في مدرسة النجف التي قد يوفق فيها إلى بلوغ درجة الاجتهاد وهي أعلى درجة. (٤٩-الخليلي: ج٢ :ص٩٧) وقدسميت (بمرحلة البحث الخارج) ذلك، لان أساتذتها يلقون موضوع بحوثهم خارج الكتاب ، أي: عن ظهر قلوبهم أو، لان التدريس فيها لا يعتمد على رأي خاص، ولا على كتاب معين، إلا ما قد يتخذ على سبيل تسهيل المراجعة على الطلاب أو التحضير قبل الدرس (٩٧-الفضلي:ص٩٥).

تكون هذه المرحلة عادة في دورات يتولاها كبار العلماء والمجتهدين ويبتدئ المدرس منهم بدورة بحوث اصولية أو فقهية يلقيها بشكل محاضرات يومية

فيشرح المسألة شرحاً وافياً بعرض الأقوال من مختلف المذاهب الإسلامية، ومناقشة الآراء فيها، وأدلتها المختلفة، ويختار ما ينتهي إليه رأيه مع الدليل، ولكل مدرس طريقة خاصة في أسلوب البحث، وسعة المنهج، والأسس العلمية التي يعتمدها. (٤٩-الخليلي :ج٢:ص٩٧).

ان دورات دروس البحث الخارج لا تكون إلاجماعية، إذ الطابع العام للدراسة في هذه المرحلة هو (الحلقية)، اذ يتحلق عشرات الطلبة حول كرسي أستاذهم، وذلك تبعاً لشهرة الفقيه المدرس في تفوقه العلمي، ودقة منهجه، وأسلوب تدريسه. (٩٧-الفضلي :ص٦٩).

وتتبع في دروس هذه المرحلة أسلوب المحاضرة والمناقشة أو المشاركة اذ المحاضرة من الأستاذ والمشاركة من الطلاب والمناقشة من الأستاذ والطلاب (٩٧-الفضلي :ص١١١) .

وليس لدرس البحث الخارج مكان محدد، فربما يتفق على أقامته في رواق من أروقة الصحن الحيدري الشريف، أو في ديوان بيت الأستاذ، أو في قاعة أحدى المدارس الدراسية، ولكن غالباً ما يكون في المساجد المشهورة الواسعة (٩٨-ال الفقيه :ص١١٥) .

أما طريقة التدريس في هذه المرحلة فهي:

ان يقوم الأستاذ الفقيه بتحضير الموضوع من مصادره المعتبرة، ثم يلقيه على طلابه مفتتحاً درسه بالتسمية، والتحميد، والصلاة على النبي وآله وأصحابه، ومن ثم يحدد موضوع البحث مفصلاً مفهومه وأجزاءه وجزئياته ومسائلة، مبيناً آراء العلماء وأقوالهم، ثم يبين كيفية الاستدلال عليه فيشرع في سرد ومناقشة أدلة الأقوال واحداً واحداً، بتفصيل يحيط بكل جوانبها ومتعلقاتها، ويقربها من الأذهان، ثم يبين ما تضمنته من الخلل ان كان لا يرتضيها، وينتهي باختيار احد

المذاهب الذي تكون البراهين عليه سالمة من الشك والاشكالات. (٩٨-ال الفقيه :ص١١١) .

ومدة الدراسة في هذه المرحلة تستغرق سنوات غير محددة، فربما زادت دورة البحث الخارج الواحدة في علم الفقه أو أصوله ، على عشرين عاماً، تدرس خلالها كل الأبواب الفقهية أوالأصولية مع تميز هذه الدورات أو الحلقات بعمق البحث ودقته، وسعة أفقه، والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها، وتحليلها مرجحاً بينها بالدليل. (٩٨-ال الفقيه : ص٩٧).

وهذا الأسلوب يغذي الطلاب ليتمكنوا من الوقوف على أرض صلبة والثقة بنفوسهم اذ يرجع إليهم الناس، وتقلدهم الأمة في أمورها والأستاذ لا يلقي درسه على طلابه قراءة في قرطاس كتبه، بل يلقيه ارتجالاً على الرغم من تشعب البحث فيه. (٩٨- ال الفقيه :ص١١١) .

والأساتذة في هذه المرحلة يتحرون النظريات الدقيقة في أبحاثهم،بكونها محوراً للبحث والمناقشة، اما ماعداها فإنهم يوجزون فيها، أي : يبتعدون عن الإسهاب في المقدمات لوضوحها في ذهن من يحضر بحوثهم. لأنها قد درست بدقائق تفاصيلها في المراحل الدراسية السابقة. (٩٨-ال الفقيه : ص١١١) فإذا انتهى الأستاذ من بعض مقدمات الدرس، أو جهاته، أو مطالبة، أو جزيئات مسائلة، التي فصل تحليلها بحثه، تقدم الطالب بالتعليق على ما أفاده، فالطالب في مرحلة البحث الخارج لهو كامل الحرية في المناقشة وإبداء الرأي في أثناء محاضرة الأستاذ أوبعدها، وربما ذهب كل منهم إلى رأي معين، وحينئذ يبين أستاذهم الشبهات التي تطرق أذهانهم، موضحاً ما يلزم منها، ومع كل هذا فربما ينتهي الدرس والطلاب مختلفين مع بعضهم، أو بعضهم مع أستاذهم في الرأي لسبب علمي، كما يفهم بعضهم من ظاهر النص خلاف ما يفهم الآخر، وهكذا تتفتح الأذهان وتتغذى العقول. (٤٩-الخليلي : ص ٩٧) .

وقد يستمر البحث في تفصيلات المسألة الواحدة أياما عدة، اما لتشعب مطالب الموضوع، أو لتعدد الآراء. فيكثر فيها النقاش بين الطلاب وأستاذهم

بسبب تبينهم أكثر من رأي فيرجح كل واحد الرأي الذي يرتأيه مع دليله. (٩٧- الفضلي : ص ٩٦).

والطلبة في مرحلة البحث الخارج يدونون محاضرات أستاذهم، ثم تطبع وتنشربعد ذلكً بعد التصحيح والتمحيص، فتسمى (تقريرات البحث) (٩٨-ال الفقيه :ص ١١٧) (٩٧-الفضلي :ص ٦٨).

ويقوم بعض النابهين من طلاب هذه المرحلة وأعلاهم مرتبة علمية وافهمهم للدرس بإعادة إلقائه على زملائه وذلك بعد إنهاء الأستاذ درسه، من أجل زيادة الإيضاح، وفتح باب نقاش بعضهم للبعض، وهؤلاء يسمون (مقررين) (٩٨-ال الفقيه : ص ١١٧) .

والطلاب بعد ان يحضروأ سنوات عدة في حلقات الدروس الخارجية بدورة كاملة في الفقه أو الأصول أو غيرها من العلوم، ثم يعرضون كتاباتهم، وتقريراتهم على الأستاذ ، فاذا حازت القبول والرضا يمنحه الأستاذ شهادة كتابية يقال لها (إجازة اجتهاد) وعندما يحصل الطالب على هذه الاجازة يصبح (مجازاً) وفي ذلك الوقت يكون قد بلغ مقام الاجتهاد، وقد صار باصطلاح العلماء (مجتهداً). (٤٩- الخليلي :ج٢: ص ٩٨) .

وللمجتهد الحق في ان يصنف في أحكام الدين كتاباً يسمى (الرسالة) طبقاً لاجتهاده - أي بحثه واستنباطه- أو ان يكتب الحواشي، ويصادق على رسائل العلماء السابقين، ويفتي في الاختلافات والاشتباهات والاشكلات التي تفرض لأتباع المذهب –أي المقلدين- بمعنى ان يبدي رأياً وحكماً يأخذ به المقلدون فيعملون بمقتضاه.

كما انه يخلف أساتذته في التدريس الخارجي، ويتسنم مرجعية المسلمين في التقليد وإدارة الشؤون العلمية، والاجتماعية، والاقتصادية لمدرسة النجف، وباقي الحوزات العلمية الدينية في العتبات المقدسة، بعد تأهيله لذلك وبوساطة المجموعة الساحقة للطلبة من أهل العلم، أو شهادة اثنين عادلين من كبار العلماء في حقه .(٤٩-الخليلي :ج٢: ص -١٠٠).

يتبين لنا أن منهج التدريس في مدرسة النجف يقوم على اصول تربوية تراعي مستوى التحصيل والاستعداد الذهني للطالب فانها تقسم على ثلاث مراحل ينتقل خلالها الطالب بحرية كاملة في التحصيل وطلب العلم فلا يبدأ المرحلة الثانية مرحلة السطوح إلا بإكمال المرحلة الأولى مرحلة المقدمات ، وكذا المرحلة الثالثة مرحلة البحث الخارج ، لا تبدأ إلا بعد إكمال مرحلة السطوح المرحلة الثانية بمعنى ان تلك المراحل مراحل متتالية يعتمد بعضها على بعض في التحصيل والدرس وبذلك فان هذه المدرسة تراعي الاستعداد الذهني والتقبل بعيداً عن حاجز الزمن، أي: انها غير مقيدة بأوقات محددة وملزمة، ولكن على ألا تطول إطالة زمنية مفرطة.

التقويم أوالامتحان في مدرسة النجف الأشرف :-

نظام التقويم في مدرسة النجف يختلف عن أنظمة الامتحانات المتبعة في الوقت الحاضر تلك الامتحانات التي تشكل لها هيئة تراقب سير الطلاب، وتشرف على أعمالهم وتعد لهم امتحانا شهرياً وسنوياً، ثم تعطي كل طالب شهادة تحمل أرقاماً تشير إلى درجات التلميذ ومكانته.

فالأمر مختلف بالنسبة إلى مدرسة النجف، فلها أسلوبها الخاص بها في التدريس وفي الامتحان ومكان الدراسة واختيار المدرسين ، لأنها بذلك تلمس أفضل النتائج.

فالامتحان في مدرسة النجف امتحان ينتهي بمعرفة نتيجة الطالب من دون أي خفاء ، فان الامتحان فيها لا يتخلله شيء من الغش أو الواسطة، ولا مراعاة في أي قرابة، ولا محاباة لصديق. ولا تستطيع السلطة ان تشفع للطالب، لأنه عندما يتشفع بها يسقط من جهة أخرى سقوطاً محتماً. (

٩٨-ال الفقيه:ص ١١٩ – ١٢٠) .

وهذا الامتحان يدور على امور ثلاثة:-

أولها: حرية الفكر للتلميذ مع الاستاذ ومع الرفقاء في اثناء الدرس وقبله وبعده، وبسبب تلك الحرية يستحيل عادةً ان تضيع مواهبه، وتخفى درجاته.

ثانيهما: المباحثه مع الاقران، فقد اعتاد الطالب على ان يجتمع منهم اثنان فأكثر، ويعينّوا درساً للمباحثة، يسمونه (بحث مقابلة) فيحضرون في الوقت والمكان الذي اتفقوا عليه، ثم يتقدم احدهم في اليوم الاول فيلقي الدرس كانه استاذ للاخرين وكلهم مصغون منتبهون، ولا يسمحون لهم بأجتياز نقطة من نقاط المبحث ما لم يشبعها بحثاً فأذا عجز فهم متكفلون بإيضاحها، فإذا عجزوا اجمع ارجعوها لاستاذ في وقت اخر، وفي اليوم الثاني يقوم الاخر بهذه العملية في المبحث الذي هو تلو مبحث اليوم الاول، وهكذا دواليك فالذي لم يفهم دروسه لا يستطيع ان يقوم بهذا العمل، ولا يخفى امره على رفيقه او رفقائه، واذا احسوا منه انه ليس بفاهم وانه غير مجتهد في دروسه نبذوه، وقلما تخلق الظروف رفيقين بليدين. (٩٨-ال الفقيه: ص١٢٠-١٢١).

ثالثهما: المذاكره في الاندية العامة والخاصة، وفي الصحن والشوارع، وحتى في المتنزهات، فعندما يجلس الطالب جنب طالب اخر يوجه سؤالاً الى رفيقه واذا اجابه وكان الجواب متفقا عليه بين السائل والمسؤول لا يقبله منه، بل يطالبه بالبرهان جهده، ثم إذا وجده بارعاً انتقل به الى مبحث اشد إعضالاً، او الى علم اخر وقد تحتدم المناقشه فيما بينهما و يصغي اليهما اخرون، وقد يتفشى النقاش من حلقتهم الى حلقه اخرى.

مثلاً اذا كان الطالب ليس على صله بمن الى جنبه سأله عن بلاده ثم عن وقت مجيئه ، ثم عن المدرسه التي كان يقيم فيها ثم عن الكتاب الذي يدرسه ، قال له مثلا هل قرأت المعرب والمبني فاذا قال نعم، سأله عن تعريفهما، فاذا اجاب قال له

احسنت، ثم يقول له:- لما كان الاصل في الاسماء الاعراب فاذا اجاب قال له لم بني الاسم اذا شابه الحرف، وما هي جهات الشبه، وفي اثناء هذه الجولات العلمية تتفتح افاق المسائل، ثم قد يشترك معهما من هو في جوارهما، فأذا رأى ثالث تقدم احدهما وكان معتدا بنفسه، واجهه بسؤال اعمق وادق، انتصاراً للضعيف، وبعد هذا لا يبقى شك لمن كان يستمع اليهما ممن هو ارقى درجة واعلى رتبة وخبره في الفن الذي تذاكر فيه في درجاتهما ويكون منساقاً بطبيعة الوضع، الى التنويه بالمحصل والتعريف به، وإظهار مراسيم الاحترام في المجالس فيوسع له، ويسأله عن حاله ويثني عليه ويعرف به ويكون بذلك بمنزلة او سمه يعطاها، ثم قد يتقصده شخص جديد سمع الثناء عليه، فيتعرف عليه ويتذاكر معه، وهكذا يلم اسم الطالب الذكي النبيل في النجف. (٩٨-ال الفقيه :ص١٢٢).

واذا اتفق ان المسؤول كان ضعيفاً، بالعلم الذي سئل فيه، عطف عليه السائل وفتح له باب الامل، وان كان قد مضى عليه مدة اعرب عنه، وتشاغل بالحديث او المذاكرة مع غيره، فأن تكلم لم يأبه به، ويكون هذا أشد من هبوط الصاعقة على رأسه، مهما كان متمرداً، يكون له بعد ذلك من ضميره اعظم مؤنب وحافز على الجد والنشاط، وقد يترجح لدى السائل حثه ونصحه وأرشاده لتبديل خطوط دراسته، إما بتبديل الكتاب، او الاستاذ، او الرفيق، فيضطر لتبديل الكتاب الغامض بالواضح والرفيق الغبي بالذكي، وقد يتول تهيئة ذلك له بنفسه، كانه مسؤول عنه، ولا سيما اذا كان من بلاد واحدة وأهل لغة واحدة، واذا اتفق انه اجتمع بالمعروفين من أهل بلاده، ذكره لهم قائلاً، انصحوه ورتبوا درسه فأنه غريب وليس له احد غيركم وقد فارق وطنه وتحمل المشاق، واخذ يحثهم مندفعاً، يقوم بهذا الواجب ، لان طبيعة مدرسة النجف تفرض ذلك على طلابها فهم مغمورون بهذا الشعور حتى يكاد يكون طبيعة من طبائعهم، وحتى يكادون يندفعون اليه اندفاعاً لا شعورياً. (٩٨-ال الفقيه :ص١٢٣).

الفصل الرابع

المبحث الاول

اولا-التعرف على الشيخ الطوسي:

اسمه، لقبه، ولادته، نشأته

الشيخ الطوسي: هو ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥هـ في طوس بإيران، وقد نشأ فيها وترعرع الى ان بلغ الثالثة والعشرين من عمره، عندها عزم على الهجرة الى العراق، فنزل ببغداد عام ٤٠٨هـ .(٣٧-الحكيم :ص٦٣-٦٤).

استقر الطوسي في بغداد، اذ كانت تعج بالثقافة والعلوم ، ويقصدها طلاب المعرفة من كل البلاد، وصادف وصوله الى بغداد بعد تربع الشيخ المفيد (٣٣٨-٤١٣هـ) على كرسي الزعامة الفكرية للمذهب الجعفري، وبعد ان قطع شوطاً بعيداً في مجال العلم والمعرفة، الامر الذي جعل حلقات درسه زاخرةً بطلبة العلوم، فكان يحضر مجلسه خلقً كثير من العلماء من سائر الطوائف. (١٠٥- ابن كثير : ج١٢: ص١٥).

مما يؤكد موضوعية الشيخ المفيد احترام الناس له، وان اختلفوا معه في الرأي أو الانتماء المذهبي، فكان لهذه الاجواء تأثير بالغ في اجتذاب الطلاب الى بغداد، التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للخلافة، حتى صار الشيخ الطوسي واحداً من بين كثيرين اموها وقصدوها، وقد تلمذ الطوسي على يد الشيخ المفيد انذاك ونهل من معارفه وعلومه.

وفي عام ٤٥١هـ، احرقت بغداد الكرخ وبين السورين (١-ابن الاثير :ج١٠:ص٣) فاضطر الشيخ الطوسي الى الهجرة بأتجاه النجف الاشرف بعدما رأى الخطر محدقاً به اذ توسعت الفتنة في بغداد عند دخول السلاجقة لتشمل الشيخ الطوسي واصحابه فاحرقوا داره وكتبه.

الشيخ المفيد :-هوالشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ودفن في داره سنين ونقل الى مقابر قريش بالقرب من الامام موسى الكاظم(عليه السلام).

وهناك في مدينة النجف الاشرف استقر الطوسي، اذ وجد فيها حركة علمية، فسعى الى تنميتها، وقد تمكن بعد سنوات قليلة من ان يجعل هذه المدينة مركزاً للتخصص في الفقه والاصول بعد ان انشأ الحوزة العلمية فيها التي تحولت بها الى احدى من اكبر الجامعات الاسلامية في العالم الاسلامي.

وقد اختار الشيخ الطوسي مدينة النجف الاشرف لتكون مستقراً له لاسباب عدة منها:

١- وقوعها على مقربة من الكوفة التي هي موطن التشيع، اذ يجد الشيخ الطوسي فيها قاعدة جماهيرية مع افكاره ومتبنياته ووجهات نظرة العقيدية.

٢- الموقع الجغرافي لمدينة النجف، فهي بلدة قائمة على رابية مرتفعة، فوق ارض رملية فسيحة، وهواؤها في الصيف حار يابس، وفي الشتاء بارد قارص،فضلا عن قلة المياه، وبعد البلدة عن الفرات اميالاً عدة، واعتماد سكانها في الشرب على الابار، هذا الى انها محاطة بالصحارى الرملية تعرضها من حين الى اخر الى عواصف هائجة في فصل الصيف الشديد الحرارة، يبدو ان موقع النجف الجغرافي الخاص اهلها لان تكون ملجأ لمن تعصف بهم ظروفهم السياسية. (٣٤-الحسيني :ص١٣٠-١٣٤).

٣- وجود نواة لحركة علميةٍ في تلك المدينة، قد تسد فراغاً بعد بغداد. فيجد فيها الشيخ الطوسي بديلاً عن مدينة بغداد.

كل هذه الامور وغيرها حفزت الشيخ لان يختار مدينة النجف مكاناً لاستقراره وفعلاً كان اختياره موفقاً وصائباً، اذ استطاع ان يخلق من تلك المدينة مدرسة علمية كبرى يؤمها الناس من انحاء شتى من العالم .

ويعود تاريخ الحركة العلمية في النجف الى نهاية القرن الثاني الهجري، وبعد بناء مدينة بغداد، حيث شيد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور عاصمته الجديدة على نهر دجلة في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني. (١٢٤-النجاشي :ص٣١)واتخذها عاصمه له، فاستقطبت تلك المدينة الحديثة علماء الكوفة وفقهاءها، ونزلوا بها، وتبعهم بذلك جمع من طلبة العلوم، مما اضعف مدرسة الكوفة، وقد تزامن ذلك مع بدء الحركة العمرانية في النجف الاشرف وتشييد مدرستها، فانتقلت البقية الباقية من مدرسة الكوفة اليها، وعند ذلك استوعبت النجف كل ما كان في الكوفة. (١٣٥-اليعقوبي :ص٤١).

وفي الوقت نفسه ايضاً امر الداعي الصغير محمد بن زيد بن محمد العلوي وكان يومها ملكاً لطبرستان، بأن يبنا في النجف قبة وحائطً وحصن فيه سبعون طاقاً، وهي على هيئة غرف ليسكن بها طلاب العلوم (١٢-البخاري :ص٢٦).

وفضلا عن ذلك فان هناك عددا من الأسر العلمية المعروفة، كانت قد سكنت ارض النجف في القرن الهجري الرابع، قبل وصول الطوسي لمدينة النجف ومن تلك الأسر :-

ال شهريار التي نبع منها السيد شريف الدين المعروف بابن سدرة (ت٣٠٨) واحمد بن عبد الملك الفردي الذي كان معاصراً للشيخ المفيد. (١٢٥-النجفي :ج٢-ص٤٠٤).

فضلا عن ذلك فقد سكن النجف عدد من العلماء المشهورين قبل هجرة الطوسي اليها، منهم ابو غالب احمد بن محمد بن سليمان الشيباني الزراري (ت٢٦٨) وهو من افضل الثقاة والمحدثين وشيخ علماء عصره واستاذهم وله مؤلفات كثيرة (١٠٦-كحالة :ج٢-ص١٠٨).

نستنتج من هذا ان الشيخ الطوسي عندما وصل الى النجف الاشرف كان فيها بذرة علمية وحركة دراسية استطاع ان يطورها، ليجعل بذلك من مدينه النجف مثابه للعلماء ومحطا للفقهاء ومنتجعا لافاضل الدارسين، ليتخرج منها خلال القرون المتطاولة ما يعد بالالاف من أساطين الدين وأعاظم الفقهاء، كبار الفلاسفة، ونوابغ

المتكلمين والمفسرين، وغيرهم ممن خبر العلوم الاسلامية بأنواعها. (١١٠-محفوظ :ص٨٧).

وانشأ الشيخ الطوسي مدرسته الجديدة في النجف الاشرف كما يحب ويتمنى مستفيداً من تجربته الطويلة في بغداد ومدارسها، ومستثمراً الجو الهادئ الذي كانت تنعم به هذه المدينة بسبب بعدها عن مَسارحِ الاحداث والتيارات السياسية المتصارعة. فقصر الدراسة فيها على مذهب اهل البيت (عليهم السلام) وهذا لا يعني بأن مدرسة النجف لاتتناول اراء المذاهب الاسلامية، بل كانت تتناول با الدرس جميع الاراء وتناقشها، فالشيخ الطوسي الف كتاب الذي يعد موسوعة علمية فقهية عظيمة في الفقه المقارن وقد ناقش فيه اراء المذاهب الاسلامية كافه. (٣٦-الحكم :ص٨٤).

وكان الشيخ الطوسي يُلقي دروسه في مشهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وبذلك اصبحت مدرسته متصلة اتصالاً وثيقاً بالمسجد، وليست من المدارس المستقلة عن الجوامع. (١١٧-معروف :ص١٤١). كما هو الحال في مدارس بغداد.

أولاده:-

للشيخ الطوسي ولد واحد هو ابو علي الحسن بن ابي جعفر محمد الطوسي، وقد خلف أباه في العلم والعمل والتدريس والفتيا والقاء الحديث، وكان من مشاهير العلم وكبار رواة الحديث اذ اخذ عن ابيه جميع تصانيفه (١٢٨-ابن النديم :ص٤).

واجازه والده في النجف ، وقد كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً جليلاً ثقه. (٨٣-العاملي :ص٤٦).

وقد تلمذ له جماعة كثيرة من أعيان الافاضل، واليه ينتهي كثير من طرق الاجازات الى المؤلفات القديمة والروايات.

وانجب الشيخ الطوسي ابنتين كانتا عالمتين من اهل الرواية والدراية اجاز لهما أبوهما رواية ما صنف (١٠٤-كاشف الغطاء:ج١:ص٣٢٨) .

منزلة الطوسي عند العلماء :

لقد اثنى على الشيخ الطوسي جمع من العلماء والمؤرخين، وهنا نورد طائفة من بعض اقوالهم:-

فالعلامة الحلي (ت٧٢٦) يصفه بانه:- (شيخ الامامية ووجههم ورئيس الطائفة جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عينٌ، صدوقٌ، عارفٌ بالاخبار والرجال والفقه والاصول والكلام والادب، وجميع الفضائل تنسب اليه صنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الاصول والفروع الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل).

وابن كثير يصفه بانه (فقيه الشيعة). (١٠٥ –ابن كثير : ج١٢: ص٩٧).

وابن الجوزي يصفه بعبارة (متكلم الشيعة). (٣١- ابن الجوزي :ج٨: ص١٧).

ومثل هذه الاقوال وما يشبهها من الثناء والاطراء اقترنت باسم الشيخ الطوسي، عند ذكره او ترجمته من قبل العلماء والرواة واصحاب التراجم والسير، وهنا نورد بعضاً ممن اثنى عليه من الاعلام:-

١-معاصرة الشيخ ابو العباس النجاشي (ت٤٥٠هـ).(١٢٤-النجاشي :ص٢٨٧).

٢-ابو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ).(٣١-ابن الجوزي :ج٨:ص١٧٣-١٧٩)

٣-ابن الاثير عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ).

٤-تاج الدين ابو نضر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)

٥-ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن عبد الكافي العسقلاني(ت٨٥٢هـ). (٨٨ –العسقلاني :ج٥: ص١٣٥).

٦- الشيخ حسين بن الشيخ عبد الصمد الحارثي (ت ٩٨٤) .

٧-الشيخ محمد الباقر المجلسي (صاحب البحار) (ت١١١١هـ). (٢١-البهائي :ص١٦٣)

٨- المحدث الشيخ يوسف البحراني (ت١١٨٦هـ).

٩- الشيخ ابو علي الحائري (ت١٢١٥هـ)

١٠-المحـــدث الشـــيخ ميـــرزا محمـــد حســـين النـــوري النجفـــي (ت١٣٢٠هـ)(١٢٩-النوري :ج٣:ص٥٥).

١١-العلامة السيد حسن الصدر الكاظمي (ت١٣٥٤هـ).

١٢-الشيخ محمود ابو زهره المصري.(٤٣-حيدر :ص٢٦٠-٤٨٨) .

وقد حظي الشيخ الطوسي بعناية خاصة من لدن الكتاب والعلماء والباحثين، الامر الذي يعكس مكانة الشيخ، وعلو شأنه، وقوة تأثيره، وتميزه .

شيوخ الطوسي:-

تتلمذ الشيخ الطوسي على يد جملة من العلماء سواء اكانوا في طوس ام في بغداد، وكان هؤلاء الاساتذة والشيوخ ينتمون الى مذاهب اسلامية مختلفة، الامر الذي ساهم بشكل فعال في خلق الثقافة الموسوعية للطوسي، وطبع شخصيته بشيء من الانفتاح، ومنحها خاصية التحري والاستقصاء، بعد ان وقف على ما لدى جمع من علماء الإسلام من مختلف المذاهب الاسلامية، وبهذه يكون الطوسي قد درس جملة من المذاهب والافكار على يد اصحابها وعلمائها، لذا نجده حين يناقش اراء العلماء او يحاورهم يمتاز بالدقة والموضوعية وسعة الاطلاع.

ويبدو ان مشايخ الطوسي في الرواية واساتذته في القراءة كثيرون ، وقد بلغ عددهم سبعة وثلاثين، كان قد ذكرهم الشيخ الطوسي في مؤلفاته العديدة، الا ان الذين اكثر الرواية عنهم وتكرر ذكرهم في كل من كتابيه:- التهذيب والاستبصار كانوا خمسة وهم:-

١- الشيخ ابو عبد الله احمد بن عبد الواحد بن احمد البزاز المعروف بابن الحاشر، او ابن عبدون (ت٤٢٣هـ) وفيه يقول الطوسي (سمعنا منه واجاز لنا ما رواه).(٣٧-ص١٠٩-١١٠) .

٢- الشيخ احمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الصلت الاهوازي (ت٤٠٩هـ).

٣- الشيخ ابو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن الفضائري (ت٤١١هـ) وقال فيه الطوسي (سمعنا منه واجاز لنا ما رواه).

٤- الشيخ ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن ابي جيد (ت٤٠٨هـ).
٥- الشيخ ابو عبد الله محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ).

اما غير هؤلاء فقد ذكرهم، ولكن ليس بهذه الكثرة، وفيما يأتي اسماء هؤلاء الشيوخ الذين ذكرهم اهل التراجم والسير:-

١- ابو محمد الحسن بن محمد يحيى ابن داود الفحام السامرائي (ت٤٠٨
٢- ابو القاسم علي بن شبل بن اسد الوكيل (ت٤١٠هـ).
٣- ابو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي خشنام (٣١٨-٤١٠هـ) وهو من مشايخ الطوسي من علماء السنه.
٤- محمد بن علي بن خشيش بن نضر بن جعفر بن ابراهيم التميمي. وهو من علماء اهل السنه، وقد روي عنه في اماليه اخباراً كثيرة.
٥-السيد ابو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار (٣٢٢-٤١٤هـ)، وهو من علماء اهل السنه. (٧٩-الطوسي: ص٤٥٢).
٦-ابو الحسين وابو العباس احمد بن علي النجاشي، صاحب كتاب الرجال (٣٧٢-٤٥٠هـ).
٧- ابو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد البزاز (٣٢٩-٤١٩هـ)، وهو من علماء اهل السنه.
٨- القاضي ابو القاسم علي التنوخي ابن القاضي ابي علي المحسن بن تميم القحطاني(٣٧-الحكيم :ص١١٢-١٦٩)، وهو من علماء اهل السنه (٣٧٠-٤٤٧هـ)(٤١-الحمودي :ج١٤:ص١١٠-١٢٤)
٩- ابو الحسن علي بن احمد بن عمر بن حفص المقرى المعروف بابن الحمامي (٣٢٨-٤١٧هـ).
١٠-الشريف ابو محمد الحسن بن احمد بن القاسم بن محمد بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) المحمدي نسبة الى محمد بن الحنفية بن الامام علي (عليه السلام)(م.ن ص١١٢-١٦٩) .

١١- السيد المرتضى علم الهدى ابو القاسم علي بن الحسين بن علي بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم (عليه السلام)(ت٤٣٦هـ). وهو من اشهر اساتذته.

تلاميذ الشيخ الطوسي:-

ما ان استقل الشيخ الطوسي بزعامة المذهب الامامي عند وفاة الشريف المرتضى عام ٤٣٦هـ في بغداد حتى صارت داره في الكرخ مأوى ومقصد الوفاد وقد تزاحم العلماء على درسه، واجتمع تحت منبره جمع من التلاميذ بلغ عددهم اكثر من ثلاثمائة ، ومن مستمعيه وحاضري مجلسه العامة ما لا يحصى عدده. (٤٣-حيدر :ج٢:ص٣١٧).

وقد اورد السيد محمد صادق بحر العلوم في مقدمة رجال الطوسي واماليه قائمة بأسماء تلامذة الشيخ الطوسي بلغ عددهم فيها ستة وثلاثين شخصاً، وهؤلاء الذين ذكرت أسماؤهم في كتب التراجم كانوا من المشاهير على حين خفيت اسماء غيرهم لقلة اثارهم او لضياعها.

وهنا نورد ما ذكره علماء الرجال والمفهرسون من بعض أسماء تلاميذ الشيخ الطوسي:-

١- الشيخ ابو القاسم سعد الدين عز المؤمنين عبد العزيز بن تحرير بن عبد العزيز المعروف بابن البراج قاضي طرابلس المتوفي سنة ٤١٨هـ.

٢-الشيخ الفقيه موفق الدين ابو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه.(ت ٤٤٢).

٣-الشيخ الثقة المصنف ابو الصلاح تقي بن نجم الدين الحلبي.(ت٤٤٧).

٤-الشيخ ابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقرئ الرازي المعروف بالمفيد المتوفي سنة ٥٠٦هـ.

٥-الشيخ محمد بن الحسن بن علي الفتال صاحب كتاب (روضة الواعظين) المتوفي سنة ٥٠٨هـ.(١١-بحر العلوم :ص٢٤).

٦-الشيخ الامام المصنف ابو محمد شمس الاسلام الحسن بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بحسكا، المتوفي سنة ٥١٢هـ.
٧-الشيخ ابو علي الحسن بن شيخ الطائفة الشيخ الطوسي.(ت٥١٥).

٨- الشيخ الامام جمال الدين محمد بن ابي القاسم الطبري الاملي.(ت ٥٢٥)
(١١-بحر العلوم:ص٢٤).

ثقافة الشيخ الطوسي:-

ابتدا الشيخ الطوسي حياته العلمية في طوس، وبها درس علوم اللغة والادب والفقه واصوله والحديث وعلم الكلام والتي هي مقدمات اساسية لمن اراد ان يواصل دراسته العلمية العالية في الجامعات الاسلامية.
وعندما اتقن الشيخ الطوسي تلك المقدمات شد الرحال الى بغداد، عام ٤٠٨هـ اذ كانت بغداد نقطة جذب لكل طامع في الاستزادة من المعارف والعلوم الاسلامية.
وعندما نزل الشيخ الطوسي بغداد كانت الزعامة للمذهب الجعفري قد الت للشيخ محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد وبابن المعلم.
وقد تلمذ الطوسي على يد الشيخ المفيد مدة خمس سنوات، ابتدأها منذ اول نزوله بغداد عام ٤٠٨هـ، ولم ينقطع حتى وفاة الشيخ المفيد عام ٤١٣هـ، درس خلالها الاصول والكلام(٦١-السبكي :ج٤:ص١٢٧)٠
كما انه شرع بالتأليف منذ ذلك الوقت المبكر، اذ شرح كتاب استاذه المفيد، والمسمى بكتاب { المقُنعِة }، وقد سمى كتابه بـ(تهذيب الاحكام) والذي ضمنه الادلة الفقهيه والاحاديث ورد الشبهة المثارة حول العقيدة والاحاديث المروية عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام).
وقد ظهر تأثر الشيخ الطوسي بأستاذه المفيد واضحاً في هذا الكتاب الذي اصبح فيما بعد احد الاصول الاربعة التي يرجع اليها المجتهدون من الامامية عند استنباطهم للاحكام الشرعية.

ومعلوم ان الشيخ الطوسي كان قد استفاد كثيراً من علوم استاذه المفيد، خاصة ان مجلسه كان يحضره جماعة من العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية.(١٠٥- ابن كثير :ج١٢:ص١٥).

ان الاحتكاك بمثل هؤلاء العلماء من شأنه ان يمنح الطوسي فرصةً اكبر في الاستفادة مما عند الاخرين، ويوفر له الكثير من المجالات في معرفة أفكارهم وآرائهم.

وبعد وفاة الشيخ المفيد الت الزعامة الفكرية للشيعة الامامية الى الشريف المرتضى (٣٣٥-٤٣٦هـ). والذي كان في وقتها يتولى نقابة الطالبيين. (٣١-ابن الجوزي :ج٨:ص١٢٠).وإمارة الحج وديوان المظالم ويشغل منصب قاضي القضاة .(١٢٩-النوري :ج٣:ص١٦و ص٥١٦).فضلا عن انه كان يمتلك من الثقافة والمعارف والعلوم ما جعله مؤهلاً لان يحظى بمكانهٍ خاصةٍ على الصعيدين الشعبي والرسمي(١٢٤-النجاشي :ص٢٦) وكان له مجلسا يُناظر عنده في كل المذاهب.(105-ابن كثير :ج١٢:ص٥٣).

الامر الذي هيأ للطوسي فرصة اخرى للاستفادة من الاجواء الفكرية المشبعة بالإبداع في فن الخطابة والحوار وابداء الرأي والدفاع عنه.

وقد عني الشريف المرتضى بتلميذه الطوسي، وبالغ في توجيهه اكثر من سائر تلامذته، لما شاهده فيه من اللياقة والفهم والادراك والعلم ، وبقى الطوسي ملازماً لاستاذه المرتضى ثلاثةً وعشرين عاماً من ٤١٣هـ الى ٤٣٦ هـ حتى وفاة الشريف المرتضى عام ٤٣٦ وقد افاد الشيخ الطوسي من هذه الصحبة والتلمذة شيئاً كثيراً وخاصةً ان الشريف المرتضى كان يعيش أجواء الانفتاح الفكري بين مختلف المذاهب الاسلامية، يناظر العلماء، ويرد الشبهات، ويدافع عن مذهبه وعن رأيه، وقد كان له مكتبةً عامرةً يقول عنها ابو القاسم التنوخي (حصرنا كتبه فوجدنا ثمانين الف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومقروءاته). (١١-بحر العلوم :ج١:ص٩).

ومعلوم ان الشريف المرتضى كان شاعراً مجيداً ، له ديوان شعر في ثلاثة اجزاء، طبع في مصر عام ١٩٥٨.

ان كل تلك المؤهلات التي اتصف بها الشريف المرتضى والجو الفكري السائد انذاك وتوفر الكتب والمصادر النادرة اثرت تأثيراً كبيراً في شخصية ، ومنحته النضوج العلمي وأهلته لان يكون فيما بعد شيخاً للطائفة.

وكان الشيخ الطوسي على الرغم من تقارب علمه من علم استاذه الشريف المرتضى الا انه كان في عدد من المسائل يناقشه فيها، لكن هذه الخلافات في الاراء والمناقشة بين التلميذ وأستاذه لا تثير شيئاً من عدم الرضا لدى أي من المتناقشين، وهذا يبين مدى إشاعة أجواء الحرية الفكرية آنذاك.

ان مثل هذه الاجواء العلمية الحرة التي تبيح للتلميذ ان يناقش استاذه ما زال يملك في ذلك دليلاً هو الذي منح الشيخ الطوسي قدراً كافياً من الاقدام لان ينظم الى حلقات الدرس التي كان يشرف عليها عدد من اعلام أهل السنه من امثال: هلال بن محمد بن جعفر الحفار (ت٤١٤هـ)،ومحمد بن محمد بن محمد بن مخلد (ت٤١٩هـ) وغيرهم فكان لهذه الحلقات اكبر الاثر في تفهم الشيخ الطوسي للمذاهب الاسلامية المختلفة.

يتبين لنا من هذا ان هناك عوامل كثيرة ادت الى منح الشيخ الطوسي مكانه علمية متميزة فمن هذه العوامل:-

١- مؤهلاته الذاتية من ذكاء وفطنة وسرعة حافظة، فاذا نظرنا نظرة متفحصة الى كتابه الامالي نرى ما حظي به الشيخ الطوسي من موهبة عقلية وعلم كثير، فهو يروي خُطباً او رسائل كاملة او احاديث مطولة عن ظهر قلب مع ذكر السند واسماء الرواة وابائهم واجدادهم والقابهم حتى يوصلهم الى مصدر الحديث او الخطبة او الرسالة سواء أكانت عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ثم عن احد الائمة (عليهم السلام)، مثال ذلك قوله (وعنه) عن شيخه قال: حدثني ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رحمه الله) قال: اخبرني ابو الحسن علي بن محمد بن الحسن الكاتب، قال: اخبرني الحسن بن علي الزعفراني، قال: اخبرني أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عثمان، قال: حدثنا علي بن محمد بن ابي سعيد عن فُضَلِ بن جعفد عن ابي اسحاق

الهمداني، قال: لما ولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) محمد بن أبي بكر مصر واعمالها كتب له كتاباً، وأمره ان يقرأهُ على أهل مصر، وليعجل به وأوصاه به فيه، وكان الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الى أهل مصر ومحمد بن أبي بكر).(٧٩-الطوسي ؛ج١:ص٢٤-٣٠)٠

ثم يستمر في قراءة مطولة لرسالة استغرقت اكثر من ست صفحات من كتاب الامالي. الامر الذي يؤكد قوة الحافظةِ لديهِ، وتمكنه من الاستيعاب، وقدرته على التلقي.

٢- توافر للطوسي من الاساتذه ما لم يكن لغيره من الطلبةكا لشريف المرتضى والشيخ المفيد ، واخرين كثيرين، فأخذ من علومهم ما استطاع.

٣- توفرت له مكتبات ودورُ علمٍ زاخرة بمختلف الفنون والعلوم والاداب فوهبته ثقافة واسعة.

٤- التقارب بين علماء المذاهب الاسلامية المختلفة، مما ادى الى انفتاح فكري بين مختلف الطوائف الاسلامية، يظهر ذلك من خلال المناظرات والمناقشات والحوار والجدل في المسائل المختلفة، مما شجع على التعمق والاستقصاء للدفاع عن الاراء وبيان الراجح منها.

٥- كان اختياره لبغداد مكاناً لدراستهِ موفقاً، اذ كانت بغداد في وقتها ملتقى رجال الفكر والعلم والادب وعاصمة للدولة ومركزاً للحضارة الاسلامية، وكان التنافس بين الدارسين فيها على اشده، فضلا عن تسهيلات للطلبة الوافدين الى بغداد مبذولة، اذ يجد الطلاب المقام والمأوى. (١٢٠-منتصر :ص٧٢).

٦- اتساع الحرية والمرونة في الفكر والاجتهاد، الامر الذي ادى الى ان يكمل الطوسي دراسته بجدٍ.

مؤلفات الشيخ الطوسي:-

استطاع الشيخ الطوسي بما يملك من ثقافة وموهبة وسعة اطلاع، ان يثري المكتبة الاسلامية بمؤلفات هي غاية في الاهمية والجودة،اذ استقى مادة مؤلفاته من تصانيف القدماء التي تتميز بأهمية خاصة بسبب قربها من عصر الرسالة.

وتميزت مؤلفات الطوسي بالتنوع والكثرة في مختلف الفنون والعلوم والاداب، اذ لم يدع باباً الا وطرقه، فقد كتب في الفقه والاصول وعلم الكلام والتفسير وعلم الحديث والرجال، والادعية والعبادات وغيرها.

وفيما ياتي قائمة بأسماء الكتب التي الفها الشيخ الطوسي:-

١-الابوابٌ ويسمى كتاب الرجال، وهو في تراجم الرجال الذين رَوَوا عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والائمة (عليهم السلام)، ومن تأخر عنهم وهو احد الاصول المعتمدةِ عند علماء الامامية.

٢-الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، وهو احد الكتب الاربعة والمجاميع الحديثية التي عليها مدار استنباط الاحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية منذ عصر المؤلف حتى اليوم ويحتوي على خمسةِ الافٍ وخمسمائة وأحدَ عشرَ (٥٥١١) حديثاً.

٣-اصول العقائد وهو كتاب في الاصول كبير خرج منه الكلام في التوحيد والعدل.

٤-الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد وهو فيما يجب على العباد من أصول العقائد والعبادات الشرعية على وجه الاختصار.

٥- الأمالي في الحديث ويقال له: المجالس، لانه املاه مرتباً في عدة مجالس وقد طبع لاول مرة في طهران عام ١٣١٣هـ.

٦-أنس الوحيد مجموعة للشيخ الطوسي، عده في فهرسه من تصانيفه.

٧-الايجاز في الفرائض، وهو كتاب مختصر، فقد احال فيه التفصيل الى كتابه النهاية، وقد شرحه قطب الدين الراوندي فسماه الانجاز.

٨-التبيان في تفسير القران يقع في عشر مجلدات، طبع لمرات عدة في النجف.

٩-تلخيص الشافي في الامامة، وهو اختصار لكتاب الشافي الذي كتبه علم الهدى السيد المرتضى رحمه الله.

١٠- تمهيد الاصول، وهو شرح كتاب جمل العلم والعمل لأستاذه الشريف المرتضى، ولم يخرج منه الا شرح ما يتعلق بالاصول.

١١- تهذيب الاحكام، في الحديث وهو احد الكتب الاربعة والمجاميع القديمة المعول عليها عند الامامية من تأريخ تأليفها وحتى اليوم، وقد استخرجه الشيخ الطوسي من الاصول المعتمدة للقدماء، وللتهذيب شروح وحواش عدة، ذكر منها الشيخ الطهراني ستة عشر شرحاً وعشرين حاشية مع ذكر اسماء مؤلفيها.

١٢- الجمل والعقود، في العبادات: وقد الفه بطلب من القاضي الشيخ عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج قاضي طرابلس (ت٤٨١هـ).

١٣- الخلاف في الاحكام ويقال له: مسائل الخلاف وقد ناظر فيه المخالفين جميعاً، وذكر اراء كل مذهب ثم بين الصحيح منها.

١٤- الرجال المتداول المشهور برجال الكشي المطبوع سنة ١٣١٧هـ. الذي ذكر في أوله الاحاديث السبعة في فضل الرواة، وأول السبعة حديث أبي عبد الله (عليه السلام): (اعرفوا منازلَ الرجالِ منا على قدرِ رواياتهم عنا)، وهو مختار من رجال الكشي الذي أسمه معرفة الناقلين.

١٥- رياضة العقول، وقد شرح فيه المقدمة في المدخل الى علم الكلام.

١٦- شرح الشرح في الاصول، وقد صنفه في اخر ايام حياته، وفيه يقول تلميذه الحسن بن مهدي السليقي: ((كتاب مبسوط، أملي علينا منه شيئاً صالحاً، ومات رحمه الله ولم يتمه))

١٧- العدة في الاصول ، وقد قسمه على قسمين: الاول في اصول الدين والثاني في أصول الفقه، وهو أبسط ما ألف في هذا الفن عند القدماء.

١٨- الغيبة في غيبة الامام الحجة المهدي المنتظر (عليه السلام)، وقد كتبه الطوسي في سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة.

١٩- الفرق بين النبي والإمام، في علم الكلام.

٢٠- الفهرست في تراجم أصحاب الكتب والأصول، وقد شرحه العلامة المحقق الشيخ سليمان الماحوزي (١١٢١هـ) وسماه معراج الكمال الى معرفة الرجال.

٢١- ما لا يسع المكلف الإخلال به، في علم الكلام.

٢٢- ما يعلل وما لا يعلل، في علم الكلام.

٢٣- المبسوط في الفقه، ويشتمل على نحو سبعين باباً من أبواب الفقه.

٢٤- مختصر أخبار المختار بن أبي عبيدة الثقي ويعبر عنه بأخبار المختار.

٢٥-مختصر المصباح في الادعيه والعبادات، ويقال له: المصباح الصغير، وقد اختصر فيه كتابه الكبير مصباح المجتهد.

٢٦- مختصر في عمل يوم وليلة: في العبادات، وقد ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست، وقد اقتصر فيه على الفرائض والنوافل وبعض التعقيبات في غاية الاختصار.

٢٧- مسألة في الأحوال، ووصفها بأنها (مليحة).

٢٨- مسألة في العمل بخبر الواحد وبيان حجيته.

٢٩-مسائل في وجوب الجزية على اليهود والمنتمين الى الجبابرة.

٣٠- مسائل ابن البراج.

٣١- المسائل الالياسية، وهي مائة مسألة في فنون مختلفة.

٣٢- المسائل الحنبلائية في الفقه وهي اربع وعشرون مسألة.

٣٣- المسائل الحائرية، وهي نحو ثلاثمائة مسألة في الفقه.

٣٤-المسائل الحلبية في الفقه.

٣٥- المسائل الدمشقية، وهي اثنتا عشرة مسألة، في تفسير القران.

٣٦- المسائل الرازية، وهي خمس عشرة مسألة في الوعيد وردت من الري الى استاذه السيد المرتضى فاجاب عنها، واجاب عنها الشيخ الطوسي أيضاً.

٣٧- المسائل الرجبية في التفسير.

٣٨- مصباح المجتهد من اعمال السنه والادعية والزيارات.
٣٩- المفصح في الامامة، وتوجد منه نسخة في الهند.
٤٠- مقتل الحسين (عليه السلام).
٤١- مقدمة في المدخل الى علم الكلام.
٤٢- مناسك الحج في مجرد العمل، وقد ذكرها في الفهرست.
٤٣- النقض على ابن شاذان في مسألة الغار.
٤٤- النهاية في مجرد الفقه والفتوى.
٤٥- هداية المسترشد وبصيرة المتعبد في الادعية والعبادات.

وفاته:-

تباينت الروايات في تحديد، سنة وفاتهِ، فرواية تقول ((انه توفي سنة ٤٥٨هـ)).
واخرى تقول (ان سنة وفاته كانت ٤٥٩هـ). (٧٣-الصفدي :ج٢:ص٣٤٩).
وثالثه تقول (ان الشيخ الطوسي توفي عام ٤٦٠هـ).
ويبدو ان الرواية الثالثة هي اصح الروايات وأدقها، لان المعروف عن الشيخ الطوسي انه بقي بعد وفاةِ أستاذه الشريف المرتضى أربعاً وعشرين عاماً، وحيث ان الشريف المرتضى كان قد توفي سنة ٤٣٦هـ فهذا يعني ان وفاة الشيخ الطوسي كانت سنة ٤٦٠هـ، بأضافة أربعةٍ وعشرين سنه عاشها بعده، وبهذا يكون الشيخ الطوسي قد عمر خمسة وسبعين عاماً من عام ٣٨٥هـ وحتى عام ٤٦٠هـ، وكانت وفاته في ليلة (الثاني والعشرين من محرم). (٣٧-الحكيم :ص٤٩٤-٤٩٥).
وقد دُفِنَ في الموضع المعروف اليوم وهو بيته (في النجف الاشرف)، الذي تحول فيما بعد الى مسجد أطلق عليه أسم مسجد الشيخ الطوسي، والذي اصبح من المزارات المعروفة.
فضلا عن كونه مدرسة يدرس فيها طلبة العلوم الدينية في حوزة النجف الاشرف من بين حلقات خاصةً مختلف العلوم الاسلامية، وقبر الشيخ الطوسي يتوسط

المسجد، ويقع قبرُ الشيخ الطوسي في محلة المشراق وهي اقدم محلة في مدينة النجف. (٣٧ الحكيم : ص٤٩٥).

الحياة السياسية والثقافية في عصر الطوسي

تميز القرن الرابع و القرن الخامس بعد الهجرة بظاهرة الصراع الفكري بين ارباب الكلامية والفقهية وتلاحق الإحداث المختلفة المتأرجحة بين الشدة والرخاء والحرية والاضطهاد تبعاً للظروف السياسية، وحسب طبيعة الخلفاء المتعاقبين على السلطة، وكانت تلك المتغيرات والتقلبات السياسية قد تركت بصماتها على الشيخ الطوسي، كما تركت أثارها على غيره من ابناء ذلك العصر.ان هذه الاضطرابات السياسية أدت الى خلق البلبله والفوضى، وظهر ذلك للعيان، كما ان السلطة التي كانت يومئذ في يد الاتراك اصبحت عاجزة عن اقرار الامن والنظام، وذلك نتيجة لتدهور السلطة المركزية ووقوع الفتن والاضطرابات داخل الدولة.(١١٤- المسعودي :ج٤:ص٨٦)(٧-امين:ص٢٠٠).

وهذا مما ادى الى استقلال الامراء بأطرافها وأجزائها، ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات. (٤٧-ابن خلدون :ج٣:ص٤٢٠).

مما اضطر الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ) الى دعوة البويهيين لتسلم السلطة في العراق، ووضع حد للاتراك والفوضى، والتخلص من نفوذ الاتراك.

وكان البويهيون انذاك قوة نامية في شرقي البلاد، فرأى الخليفة فيهم خير منقذ للبلاد من الاخطار، فأصبحوا فيما بعد السادة الجدد للخلافة العباسية (٤٧-ابن خلدون :ج٦:ص٨٥).

دخل البويهيون بغداد سنة ٣٣٤هـ، فسلكوا سبيلاً وسطاً تجاه جميع الميول والاتجاهات والفرق، فلم يتحيزوا لفئة معينة على حساب فئة اخرى، ولم ينحازوا الى رأي خاص، بل تركوا الناس أحراراً في معتقداتهم وآرائهم، لانهم كانوا يدركون انهم رجال دولة، وارباب سياسة، وان همهم الاكبر يجب ان يتجه الى اقرار الامن والنظام، ولكي يحقق الحاكم هذا الغرض، عليه ان يساوي بين الناس جميعاً. (٣١-ابن الجوزي :ج٨: ص١٤٠).

والذي مكن البويهيين من بعث الامن والاستقرار في البلاد سياستهم الحكيمة المتسامحة ازاء جميع السكان، وكان من نتائجها ان هدأت الاحوال واستقرت الأمور في اغلب الاوقات، وانصرف الناس الى العمل من اجل ترقية الحياة المادية والروحية، وعادت بغداد كعبة العلم والثقافة على النحو الذي كانت عليه في العصر العباسي الاول(١٣٢-٢٣٢هـ) ايام خلافة المامون(١٩٨-٢١٨ هـ) اذ كان الناس يتناظرون في مختلف الموضوعات، ذلك ان الحرية من أهم أسباب الرقي العلمي، لانها تفتح القرائح، وتقوي المدارك، وتحفز العلماء على البحث والنظر والواقع ان المجتمع الإسلامي خطا في العصر البويهي خطوات واسعة في مضمار التقدم العلمي، لذا عد من (ازهر العهود الثقافية في هذه البلاد لاطلاق الحرية الدينية، والحرية الفكرية،والحرية القلمية)(٣٠-جواد :ص٥)،فساد الهدوءفي ذلك العصر .(٢٨-الثعالبي :ج٢:ص٢١٦)(١١٩-المقدسي:ص٤٤٩)(١١٥-مسكويه :ج٦:ص٤٠٨).

وهذا هو السر في كثرة من نبغ في العلوم والادب،والفقه، والتفسير،والشعر والحديث، في ذلك العصر من مختلف المذاهب الاسلامية. (٢٨-الثعالبي :ج٢:ص٢١٦). (١١٩-المشايخي :ص٤٤٩).(١١٥-مسكويه:ج٦:ص٤٠٨).

من أمثال:-

الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ) ،والشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣).(٢٨- الثعالبي :ج٣:ص١٣٧)

وكذلك الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥-٤٣٦) هـ .

والماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ت(٤٥٠هـ) وهو أحد فقهاء الشافعية.(٤٨-ابن خلكان :ج٢:ص٤٤٤)٠

والجويني أمام الحرمين أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (٤١٩-٤٧٨هـ)٠(٦١-السبكي :ج٥:ص١٦٥)٠، وهو أحد فقهاء الشافعية.(٧٤-الطاهر :ج١:ص٦٦)٠

والدامغاني أبو عبد الله محمد بن علي (٣٩٨-٤٧٨هـ) ، وكان شيخ المذهب الحنفي، وقد عين بمنصب قاضي القضاة سنة ٤٤٧هـ.

والبغدادي أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل الظفري المقرى (٤٣١-٥١٣)هـ وهو أحد شيوخ الحنابلة وكان فقيهاً وأصولياً متكلماً وواعظاً. (١٩- البغدادي :ج١:ص١٤٢)٠

وبرغم هذا الجمع من العلماء والفقهاء والمتكلمين والمنتمين الى مذاهب شتى، لم يكتب لهذه الحياة الرغيدة ان تدوم إذ تكدر صفو الامن في اجواء الحرية والهدوء ببغداد، ذلك ان الازدهار الثقافي والحركة العلمية التي حدث في اجواء الحرية لم يدم بسبب اشتداد الصراع السياسي آنذاك، ولم يكن بمقدور السلطة القائمة السيطرة على الموقف وفي سنة ٤١٦هـ كثرت إعمال السلب والنهب، وقد زاد من سوء الأوضاع سيطرة الأتراك على بغداد عام ٤١٧هـ، فأكثروا مصادرات الناس،وزاد الشر.(٣٣-حسن:ص٢٢٨)(٣٧-الحكيم :ص٥٢- ٥٩).

واستمرت الحالة في التردي حتى وصلت أوجها عندما استولى السلاجقة على بغداد عام ٤٤٧هـ، فأسرفوا في البطش والإرهاب، فعاش العراقيون اشد سنيهم بين عامي (٤٤٧-٤٤٩)هـ حيث عمت المجاعة، وكثر الغلاء، ولحقهم وباء عظيم، فكثر الموت،وفقد الامن واضطرب النظام فنهبت الرصافة. (٦١-السبكي :ج٤:ص١٢٧)(١٠٥ :ابن كثير :ج١٢:ص٧١).

كل هذا كان يجري والى جانبه يضيع كثير من التراث الاسلامي، ويتوارى، نجمُ الفكر والعلم والادب، ويتعرض رجاله للاضطهاد والتعذيب، وكان شيخنا الطوسي من بين العلماء الذين تعرضوا للاذى، إذ كبست دارهٌ وأحرقت كتبه. (٦١- السبكي :ج٤:ص١٢٧). (١٠٥-ابن كثير :ج١٢:ص٧١)٠

المبحث الثاني

أساليب التدريس عند الطوسي

كان الطوسي يستعمل أساليب عدة في تدريسه لطلبته، فكان يرى تلاميذه ويعدهم بشكل يؤهلهم للقيام بدورهم العلمي والفكري واستمرار المسيرة العلمية، فكان تنسيقه وتطويره للدراسة العلمية في مدرسته في مناهج وطرائق البحوث والدراسة وإبداء الآراء الجديدة، وعمق البحوث والدراسات التي كان يلقيها وأنواع أساليب التدريس التي كان يستخدمها، كان لها وقع كبير على مسيرة العملية التعليمية والحركة العلمية في مدرسة النجف، وقد تمثلت بما يأتي:-

١- السماع من لفظ الشيخ:-

اذ يلقي الشيخ الطوسي محاضرته على طلابه وتكون هذه المحاضرات على شكل مجالس، مثل مجلس يوم الجمعة في شهر ربيع الاول، وهكذا فقد كانت تذكر اماكن المجالس وزمانها، ويكون درسه مقروناً بأيام معينه من كل اسبوع.

يقول الراوي (سمعت) عند سماعه من الشيخ، أو يقول (حدثني) للدلالة على قراءة الشيخ عليه، أو يقول (اخبرنا) أو (انبانا)، وكانت طريقة السماع من الشيخ اكثر الطرق شيوعاً في ذلك الوقت. (٩٩-فياض :ص٢٢٦).

ان هذه الاسلوب الذي استخدمه الطوسي في عصره يقابله في الوقت الحاضر اسلوب المحاضرة، ويقصد بها، ان المعلم يعرض عرضاً شفهياً مستمراً، عادة طائفة من المعلومات والاراء المعينة مع مقدار قليل من اشتراك التلاميذ، أو من دون اشتراكهم بالمرة، (١١٢-محمود :ص١٢٨).

ويعرفها عبد الحميد الصفار (أنها عرض شفهي مستمر للخبرات والاراء والمفاهيم يقوم المدرس بألقائها على طلبته من دون مناقشة او مشاركة من الطلبة في أي مرحلة من مراحل التحاضر، او من دون ان يكون للطلبة رأي في طبيعة المادة العلمية المقدمة وما عليهم سوى المتابعة وأخذ طائفة من الملاحظات، وفي حالات قليلة يسمح للطلبة بالتساؤل، وغالباً ما يكون في نهاية المحاضرة. (١١٢-محمود :ص١٢٨).اذ يقوم المدرس بأعداد المحاضرة قبل الدرس ثم يقوم بإلقائها على تلاميذه في مكان الدرس وقد يكون الالقاء طول وقت الدرس أو قد يسمح المدرس للمستمعين بألقاء الاسئلة بعد الانتهاء من إلقاء المحاضرة. (٢-الاحمد:ص٨٠).

٣- الإملاء أو التدوين:-

فقد كان الشيخ الطوسي يملي على تلامذته محاضرته وهم يدونون ما يملي عليهم، فدونت امالي الشيخ الطوسي من قبل تلامذته في كتاب عرف بـ (امالي

الشيخ الطوسي)الذي احتوى على عدد ما يدور في تلك المجالس من احاديث متنوعة.

فقد ذكر أبو علي أبن الشيخ الطوسي أن آباهُ حدثهم قائلاً:- (حدثنا الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي {رحمة الله} في شهر ربيع الاول من سنة خمس وخمسين وأربعمائة وقال: ....) وهكذا سائر المجالس اذ يذكر فيها مكان الاملاء وزمانه. (٧٩-الطوسي :ج١-ص٢).

او يقول املى علينا الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن في مجلس يوم الجمعة في شهر ربيع الاول من سنة خمس وخمسين واربعمائه وقال ... . (٧٩-ج١-٢١)

وكان الطوسي قد قسم كتابه المذكور الى اجزاء وجلسات تدريسية املاها كلها بمشهد امير المؤمنين علي (عليه السلام).

ويقابل هذا الاسلوب في الوقت الحاضر اسلوب التلقين:-

والتلقين لغة:- من لقن فلان ولقانه بمعنى عقل، ولقن المعنى فهمه فهو لقن. (١٠١-الفيروز ابادي :ج٢:ص٨٣٥).

التلقين اصطلاحاً:- اسلوب في التعليم يركز على تنمية الجانب المعرفي لدى المتعلمين بالسرد والتحفيظ والمتابعة المباشرة من المعلم الى المتعلم. (٥١-الخوالدة :ص٢٧٩).

ان اسلوب التلقين في التعليم قديم متجدد، فمن الموضوعات التعليمية والمواد الدراسية ما يحتاج الى متابعة المعلم لما حفظ المتعلم، كلمة كلمة وحرفاً حرفاً وحركة حركة وخاصةً في تلاوة القران الكريم وحفظه وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يلقن أصحابه العلوم والمعارف والخبرات التي تحتاج الى تلقين. (٥١- الخوالدة :ص٢٧٩).

فالتلقين قد يكون ضرورياً في تعلم الحديث النبوي الشريف لما قد يترتب على استبدال حرف بحرف أو كلمة بكلمة من تغيير للمعنى(م.ن-ص٢٨١).

وفي أسلوب التلقين يكون دور المعلم فاعلا في تنظيم المادة بما يراه مناسباً لتحقيق النتائج المخطط لها والأهداف المقصودة بصورة مباشرة. (

٥١-الخوالدة :ص٢٨١).

٣-اسلوب المناقشة:-

عندما كان الشيخ الطوسي يملي على تلاميذه محاضراته وهم يدونونها كان يناقشهم في الموضوعات التي تطرق في هذه المجالس، اذ قد تحدث المناقشة بين الطالب والشيخ وتتباين الاراء. (٩٩-الفياض:ص٢٢٦).

وكان يعطي لطلابه الحرية الكاملة في نقد الاراء ومناقشتها مهما كان صاحبها. وبهذا الأسلوب يغذي طلابه ليتمكنوا من الاعتماد في ارائهم والثقة بأنفسهم لكي يؤهلهم لان يكونوا مرجعاً للامة في أمورها. (٩٥-فخر الدين :ص٢١٨).

وهذا الاسلوب هو ذاته الان يستخدم الاسم نفسه وهو اسلوب المناقشة فهو اسلوب في التعليم يحدث فيه تبادل الآراء بين المدرس والطلبة ومناقشتها. (٢-الاحمد). وعرف اسلوب المناقشة بأنه (أسلوب المداولة وتبادل الرأي بالنسبة لموضوع أو مسألة معينة). (٥٦-رزوق :ص٢١٨).

وعرفت أيضاً بأنها (أسلوب في التعليم يتم فيه تبادل الاراء بين المدرسين والطلبة أو بتقسيم الطلبة الى جماعات يختارون لها رؤساء من بينهم لمناقشة موضوعات معينة). (١٥-بدوي:ص١٠٣).

وعرفت أيضاً (انه أسلوب يشترك فيه الاستاذ مع طلابه أو المعلم مع تلاميذه في فهم وتحليل وتفسير وتقويم موضوع أو فكرة أو مشكلة ما، وبيان مواطن الاختلاف والاتفاق).(٨٦-عبد الموجود:ص١٤٥).

وبشكل عام فان أسلوب المناقشة يعتمد بشكل اساسي على المدرس والتلاميذ وعلى مدى التفاعل والتعاون ما بينهم من أجل التوصل الى الحقائق والاهداف المطلوبة.

وأتباع المدرس أسلوب المناقشة في تدريسه لطلبته يجعله يعرف كل طالب من طلبته حق المعرفة، ويعرف مواطن ضعفهم فيتناولها بالنصيحة والارشاد واستمرارية المتابعة وهو يعرف مواطن قوتهم فينميها ويزيدها متانة ،وهذا يؤدي الى زيادة الفهم وتعلم الطلبة كيف يرتبون وينظمون ويسلسلون افكارهم.

4-القراءة على الشيخ او العرض:

يقوم الطالب بقراءة او عرض ما كتبه من المحاضرات التي القاها الشيخ عليهم في مجلسه واملاها عليهم.

وتتحقق القراءة عندما يقرأ الطالب الكتاب ،وهو اما أن يقرأه بالكتاب أو يكون قد حفظه ،ويستمع الشيخ والطلاب له .

وفي حالة العرض يقال (قرأت) على فلان او (قرئ) على فلان وانا اسمع فأقر به، وقد يقال حدثنا فلان (قرأه عليه) او اخبرنا قراءة عليه، ونحو ذلك.

ومثال ذلك:-

قال الطوسي ان لاسماعيل بن موسى بن جعفر كتباً يرويها عن ابيه عن ابائه (عليهم السلام)... قال: حدثنا ابو علي محمد بن اسحاق بن الاشعث بمصر قرأه عليه من كتابه... (٩٩-فياض: ص٣٤).

وقال الطوسي عند كلامه على كتاب لابان بن تغلب (فأخبرنا ابو الحسن بن عبد الله، قال: قرأته على ابي بكر احمد بن عبد الله. (٩٩- فياض: ص٢٣٠).

ويبدو ان التعليم بطريقة القراءة على الشيخ او العرض يكون فردياً على الاغلب، ويكون الطالب حراً في اختيار الموضوع الذي يريد قراءته على الشيخ.

ويعرض الطالب عند دراسته للموضوع المذكور الكتاب الذي يحتوي ذلك الموضوع.

ويقرأ الطالب الكتاب الذي يراد درسه بحضور الشيخ، وحينئذ يتحقق اطلاع الشيخ على المعلومات التي احتواها الكتاب او الكتب التي تدرس بإشرافه وبحضوره.

وبعد ان تتم عملية التعلم يصح للتلميذ ان يروي الكتاب او الكتب التي درسها. فبعد ان يقرأ الطالب على الشيخ ما كتبه من محاضراته يعرضها عليه، فإذا وافق عليها الشيخ اجاز له روايتها. (٩٩-فياض: ص٢٣٠).

والقراءة على الشيخ او العرض يقابل في الوقت الحاضر اسلوب التحليل الذي هو قيام المدرس بالاشتراك مع الطلبة بتحليل الجملة الى عناصرها اللفظية والمعنوية وتوظيف المعنى لضبط مكونات الجملة (٥٢-الدليمي :ص١٦).

وعرفه(الحيله١٩٩٨) بأنه:- القدرة على تفكيك المادة العلمية الى اجزائها المختلفة وادراك مابينها من علاقات وهذا مما يساعد على فهم بنيتها وتركيبها (٤٤-الحيلة:ص١٦٢)٠

وعرفه(محمد ١٩٩١)بأنهُ:- القدرة علىتفكيك المادة الى مكوناتها واجزائها من اجل فهم بنيتها التنظيمية (١١٢-محمود:ص٩٦)٠

٥.-المكاتبة:-

يتحقق هذا الاسلوب من طرق نقل الحديث على كتابة الشيخ الى الطالب وهو غائب من حديثه بخطه، او يكتب ذلك وهو حاضر، ويلحق بذلك اذا امر غيره بأن يكتب له ذلك عنه اليه.

وينقسم هذا النوع من طرق تحمل الحديث على نوعين:-

الاول: ان تتجرد المكاتبة عن الاجازة.

الاخر: ان تقترن بالاجازة، بأن يكتب ويقول له اجزت لك ما كتبته لك او ما كتبت به اليك.

وللشيخ الطوسي مجموعة من كتب المسائل، منها مسألة في الاصول،والمسائل المرجعية.

ويبدو ان كتب (المسائل) عبارة عن اجوبة لمسائل ارسلها او وجههاالطلبة مباشرة الى الطوسي .

ويقابل المكاتبة بالوقت الحاضر اسلوب الحوار:- وهو ان يتناول الحديث طرفان او اكثر، عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع او الهدف (١٢٧- النحلاوي :ص٢٠٦).

وللحوار اثر بالغ في نفس السامع او القارئ، الذي يتتبع الموضوع بشغف واهتمام وذلك لانه بأسلوب الحوار يعرض الموضوع عرضاً حيوياً، إذ يتناوله المتحاورين بالاخذ والرد، مما لا يدع مجالاً للملل بل يدفع السامع او القارئ الى الاهتمام والتتبع، لما يتوقعه من جديد، او من انتصار احد المتحاورين على الاخر، ويغري القارئ او السامع بالمتابعة بقصد معرفة النتيجة، ويوقظ العواطف والانفعالات مما يساعد على ترتيبها وتوجيهها نحو المثل الاعلى، كما يساعد على تأصل الفكرة في النفس وعمقها. (١٢٧-النحلاوي :ص٢٠٦).

٦-الإجازة والمناولة:-

الاجازة في اللغة: هي اعطاء الاذن، ولهذا المعنى اشار الفيروز ابادي بقوله (واجاز له وسوغ له (١٠١-الفيروز ابادي :ج٢-ص١٧٠)٠

والاجازة يمنحها الشيخ لمن يبيح له الرواية عنه، وتكون بهذا المعنى طريقه من طرق نقل الحديث وتحمله من الشيخ الى من اباح له نقل الحديث عنه.

ويمنح الشيخ الاجازة لطلبته بطريقتين:-

الاولى: الاجازة بالمشافهة.

الاخر: الاجازة التحريرية.

ومثال ذلك:

يقول الطوسي عند ترجمته الحسن بن محمد بن يحيى صاحب النسب ان التلعكبري سمع منه (سنة سبع وعشرين وثلثمائة الى سنة خمس وخمسين... وله منه اجازة). (١٢٤-النجاشي :ص٤٦٥).

والاجازة بالوقت الحاضر تعادل الشهادة الجامعية (٩٩-فياض:ص٢٣٧).

اما المناولة:-

فهي كالاجازة من اقسام طرق تحمل الحديث وتلقيه.

والمناولة على نوعين:-

احدهما:- المناولة المقرونة بالاجازة.

ومن صورها ان يدفع الشيخ الى الطالب اصل سماعه او فرعاً مقابلاً به ويقول هذا سماعي او روايتي عن فلان فأروها عني، او اجزت لك روايته عني، ثم يملكه اياه. (٩٩-فياض :ص٢٢٥).

ومنها ان يجيء الطالب الى الشيخ بكتاب او جزء من حديثه فيعرضه عليه فيتأمله الشيخ وهو عارف متيقظ ثم يعيده اليه ويقول له وفقت على ما فيه، فأروه عني، او اجزت لك روايته عني.

والنوع الاخر من المناولة هي المناولة المجردة عن الاجازة، وتتم عندما يناول الشيخ تلميذة الكتاب ويقول هذا من حديثي او سماعي ولا يقول له اروه عني، او اجزت لك روايته عني. (٩٩-فياض :ص٢٢٥-٢٢٦).

ويقابله في الوقت الحاضر التقويم.

فالتقويم لغةً:- يعني اعطاء ثمن للشيء، فنقول قوّم البضاعة أي جعل لها ثمناً، وقوّمك الشيء أي عدله واصلح اعوجاجه. (١١٢-محمود :ص٢٥٨).
ويعرف التقويم بانه (الحكم على الطلبة من حيث مدى اقترابهم وبعدهم عن المستويات والاهداف التي يجب أن يكونوا عليها في نموهم العقلي والجسمي والاجتماعي والتحصيلي)٠ (١١٢-محمود :ص٢٥٨).
ويقصد به ايضا الحكم على مدى سلامة طرائق التدريس والوسائل المعينة والمناهج الدراسية، للعمل على اصلاح أي اعوجاج فيها او انحراف عن اهدافها. (١١٢-محمود:ص٢٥٨).
فيكون التقويم هنا هو الوسيلة التربوية التي يتم بها الكشف عن مدى النجاح في تحقيق اهداف العملية التربوية كاملة.
اذن فالتقويم هو عملية تشخيصية وعلاجية ووقائيه وعملية مستمرة مرتبطة بالعملية التعليمية. (١١٢-محمود:ص٢٥٨).

من هذا يتبين لنا ان الاساليب الحديثة المستخدمة في التدريس اليوم كانت معتمدة في الماضي وقد استخدمها العلماء منذ القدم ، ولكن بتسميات مختلفة. وهذا يثبت لنا ان الاساليب الحديثة مستوحاة من الاساليب التي كان يتبعها الرسول { صلى الله عليه واله وسلم } والعلماء العرب المسلمون وليست مستوحاة من علماء الغرب كما يذكر في عدد من المصادر عندما يتحدثون عن اسلوب معين في التدريس فيرجعون اصله واكتشافه الى احد فلاسفة الغرب مثل سقراط وغيره.

الفصل الخامس

الاستنتاجات

التوصيات

المقترحات

الاستنتاجات :-

من خلال العرض الوصفي التاريخي لمدرسة النجف الأشرف وأساليب التدريس فيها والشيخ الطوسي أنموذجا لها وبيان أساليب تدريسه فيها فقد توصلت الباحثة إلى الاستنتاجات آلاتية:-

١. الاهتمام الكبير الذي حظي به حقل التربية والتعليم وأساليب التدريس عند العرب المسلمين مستلهمين ذلك من منهج الرسول محمد (ﷺ) فقد أهتم الرسول محمد (ﷺ) بالتعليم اهتماما كبيراً. ومن مواقفه (ﷺ) جعلهُ فداء الأسرى ان يعلم كل منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.
٢. تبين لنا ان التعليم عند العرب المسلمين لم يكن عفوياً بل كان وسيلة لتحقيق أهداف نبيلة انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية الدينية والاجتماعية.
٣. لم تترك مسيرة التعليم عند العرب المسلمين من دون منهج ضابط بل استنبط لها العلماء المسلمون آداباً تعد من غرر الأخلاق، وتلك الآداب تتعلق بالشيخ والطالب والدرس أيضا.
٤. عني العرب بدراسة علوم الدين واللغة والعلوم العقلية والصرفة والإنسانية، وفق منهجية تتمثل بالشرح والإملاء والقراءة على الشيخ والمناقشة الحرة والأخذ بالراجح وتبيين المرجوح.
٥. أسس العرب المسلمون عدداً من المدن العلمية لتكون مراكز إشعاع فكري ومعاهد لتدارس العلوم والمعارف، وكانت مدينة النجف الأشرف، التي تأسست عام(١٧٠هـ-٧٦٨م) على مرتفع من الأرض أحدى من أهم تلك المراكز وان تأسيسها وبقاءها يعود الى كونها مرقدا مقدسا للإمام علي(عليه السلام) مما جعلها مقصدا للزوار في كل زمان ومن كل بلد، ولكونها أيضاً مأوى العلماء وبغية طلاب العلم، فادى ذلك إلى تكوين مدرسة علمية داخل هذه المدينة المقدسة.

٦. تعد مدرسة النجف امتدادا لمدرسة الكوفة التي تأسست بعد ان اتخذها الإمام علي(عليه السلام) عاصمة للدولة العربية الإسلامية، بدليل هجرة طائفة تلامذة الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) أو تلامذتهم من أهل العلم والفضل من الكوفة، وممارسة نشاطهم العلمي في مدرسة النجف الأشرف.

٧. حدوث تحول هام في مسيرة مدرسة النجف الأشرف عندما هاجر إليها الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) إذا ازدهرت هذه المدرسة بفعل المنتج المعرفي لمدرسة بغداد الذي نقله إليها الشيخ الطوسي، فغدت منذ ان تزعم الشيخ حركتها العلمية احدى أهم المدارس العربية الإسلامية.

٨. اتصاف شيوخ مدرسة النجف بصفات كريمة مثل التقوى والصلاح والزهد والخلق الفاضل والأدب وطهارة القلب وحفظ القران الكريم وكانوا يسعون إلى بلوغ درجة الاجتهاد العلمية، لهذا فأنهم غالبا ما يفنون أعمارهم في طلب العلم.

٩. ان تميز علماء وفقهاء مدرسة النجف الأشرف على امتداد تاريخها بمعارفهم وتضلعهم في العلوم، أدى إلى ان يكون دافعاً أحدى بطلاب العلوم من مختلف العالم الإسلامي إلى الدراسة في مدرسة النجف من اجل التزود من علومها، لأنهم يجدون فيها الأساتذة الأكفاء والمكتبات وأماكن لأقامتهم وسكناهم.

١٠. ادى اهتمام مدرسة النجف الأشرف بتكوين الشخصية المتميزة للطالب عن طريق منحه الحرية بإبداء الآراء ومناقشتها إلى تكوين شخصية قوية لا تعرف الضعف والخوار.

١١.قامت منهجية مدرسة النجف الأشرف لأعداد طلبتها وأساتذتها على أساسين:-

أولهما:- الأساس الأخلاقي:- وينطلق من جوهر الالتزام بمبادئ الإسلام وآدابه وصولاً إلى تكوين الشخصية القوية التي يتجسد فيها الإيمان المطلق بأحكام الشريعة المقدسة والالتزام العلمي بها.

وثانيهما:- الأساس العلمي:- وتمثل بإيجاد مجموعة من الضوابط التي تهدف إلى زيادة معارفهم وعلومهم كما وكيفا، والى إعدادهم للتعامل مع الكم الهائل من المعلومات في صنوف المعارف والعلوم بوعي وتعقل وتدبر، ليصبحوا قادرين على مناقشة آراء العلماء ومداركهم واجتهادات المجتهدين، حتى ليتمكن فضلاؤهم من بلوغ الاجتهاد المطلق.

١١. لم تقتصر منهجية مدرسة النجف الأشرف على دراسة العلوم الإسلامية والعربية بل أنها اتصفت بالشمولية، إذ عنيت بدراسة العلوم الأخرى عقلية كانت أم نقلية، صرفة أم إنسانية، من اجل تكوين الشخصية العلمية الموسوعية للطالب، وليتمكن من أداء دوره العلمي، ويساهم مساهمة فعالة في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية.

١٢. ان من مميزات الدراسة في مدرسة النجف الأشرف ان الطالب حر في اختيار المدرس والكتاب الذي يروم درسه.

١٣. كان للشيخ الطوسي أساليب عدة في تدريس تلامذته مثل أسلوب المحاضرة والإملاء والتدوين (أسلوب التلقين) وأسلوب المناقشة والقراءة على الشيخ أو العرض (أسلوب التحليل) وأسلوب الحوار والتقويم.

١٤. تبين لنا ان أساليب التدريس الحديثة مستوحاة من العلماء العرب المسلمين وليس كما يقال إنها مستوحاة من علماء الغرب.

التوصيات :-

في ضوء الاستنتاجات التي توصلت اليها الباحثة توصي بما يأتي:

١. اجراء ندوة لدارسة تراث الطوسي وتخليد عمل هذا العالم الجليل.
٢. الاستفادة من صفات المعلم التي أكدتها المدرسة وتطبيقها لأنها تؤكد على شخصية المعلم وأسلوبه.
٣. توعية الجيل بالمبادئ الإسلامية الأصلية البعيدة عن البدع والخرافات وإرشادهم إلى الأساليب الإيمانية النابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
٤. الاهتمام بنتائج البحوث التاريخية واستخراج ما يمكن ان يفيدنا منها في أمور التربية والتعليم والثقافة والعمل على تطويرها بما يتلاءم والعصر الحديث.
٥. الابتعاد عن مبادئ التربية الغربية الغريبة عن الإسلام واخذ ما يلائمنا منها فقط.
٦. يجب ان يرى أبناء المجتمع الإسلامي على وجوب ربط العلم بمبادئ الإسلام وألا يرتبط بالإغراض النفعية والمادية وحدها.

المقترحات :-

تقترح الباحثة ما يأتي:

١. اجراء دراسة مماثلة على المدارس الإسلامية الأخرى في حقب زمنية مختلفة وبيان طرق وأساليب التدريس فيها للاستفادة منها في الوقت الحاضر.
٢. إجراء دراسة لأحد العلماء والمفكرين العرب وإجراء موازنة بينه وبين الشيخ الطوسي.
٣. إجراء دراسة عن شخصيات أخرى من أعلام العرب المسلمين الذين كان لهم دور في التربية والسلوك في العهود الماضية من اجل الاستفادة منهم وتأصيل الثقافة العربية وعدم اللجوء للثقافات الغربية.

الفصل الثاني

المبحث الأول: الاطار النظري

المنهج العلمي والتعليمي للرسول محمد (ﷺ)

المدرسة في الإسلام

أ. مفهوم المدرسة

ب. الدراسة والتدريس في الحضارة العربية الإسلامية

أولاً: الاماكن التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية

أ. البيوت

ب. المساجد

ج. الكتاتيب

د. حوانيت الوراقين

هـ. القصور

و. المكتبات العامة

ي. المدارس

ثانياً: اهداف التعليم وآدابه عند العرب المسلمين

اهداف التعليم

١. الهدف الديني ٢. الهدف الدنيوي ٣. الهدف العلمي

آداب التعليم

١. ما يتعلق بآداب الشيخ

٢. ما يتعلق بآداب الطالب

٣. ما يتعلق بآداب الدرس

المبحث الثاني: دراسات سابقة

أ. دراسة الحكيم، حسن عيسى

ب. دراسة الزبيدي، كاصد ياسر حسين

الفصل الثاني

المبحث الأول

المنهج العلمي والتعليمي للرسول محمد (ﷺ)

لقد بعث الله نبيه (ﷺ) في أمة سيطر عليها الجهل ، واستولت عليها الخرافة- فصنع بأذن الله منها أمة حاملة الهداية للبشرية أجمع، امة حاملة منهج العلم، ومنهج التعليم والتفقه. (٥٣-ص٢٢).

لقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد (ﷺ) بأنه معلم، فقال تعالى "هو الذي بعث في ألاميين رسولاً يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين" الجمعة /٢.

وأمتن على المؤمنين بذلك فقال "لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين" ال عمران/١٦٤.

فكان النبي (ﷺ) في كل فعل يفعله، وكل كلمة يقولها، كل موقف يقفه، صورة حية لهذا المنهج والفكر التربوي، انطلاقاً من مدرسة القرآن الكريم،لذا فانه وصف بأنه (ﷺ) كان خلقه القرآن الكريم، ثم انه كان المعلم الأعظم في هذه المدرسة الإسلامية التي سن بنفسه أسسها وآمر بها.

ومن بعض معالم نهجه (ﷺ) في التعليم

أولا: إيجاد الدافع للتعلم:

لاشك ان للترغيب في العلم دوراً كبيراً في إيجاد الحماسة لدى طالب العلم للتعلم، إذ هو مهماً علت حماسته، وارتفعت عزيمته، لا يخلو من ان تعصف به رياح الكسل، ويصيبه العجز الفتور، ومن ثم كان لابد من تعاهد هذه النبتة بالرعاية، وهو امر لا يمكن ان يغفل عنه معلم البشرية (ﷺ) فيسلك مبدأ إثارة الدافع لدى المتعلم من خلال:-

أ. بيان فضل العلم وطلبه:-

فيقول (ﷺ) "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً من طرق الجنة، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضى الطالب العلم، وان العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وان العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه اخذ بخط وافر"[1].

وحين جاء ثلاثة نفر وهو جالس مع أصحابه فجلس احدهم خلف الحلقة والآخر رأى فرجة فجلس فيها، وأما الثالث فأعرض، قال (ﷺ) بعد ذلك "أما احدهما فأوى الله فآواه الله اما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه"[2] (٥٣-ص٢٣-٢٤).

ب. إشعار المتعلم بحاجة العلم:-

وفرق بين ان يعلمه (ﷺ) ابتداءً، وبين ان يشعر هو بحاجة للعلم فيأتي سائلاً باحثاً عنه. (م.ن-ص٢٤).

---

(١) رواه ابو داود، (٣٦٤١، ٣٦٤٢) والترمذي (٢٦٨٣، ٢٦٨٤) واحمر وابن ماجه والدارمي وابن حيان

(٢) رواه البخاري (٦٦)

فحين جاء المسيء صلاته وصلى قال له النبي (ﷺ): "ارجع فصل فإنك لم تصل" فأعاده (ﷺ) مراراً، حتى أحس بالحاجة للتعلم فقال:"والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني". (٥٣-ص٢٦).

ثانياً: جمعه بين تعليم المادة العلمية والتربية:-

فقد وصفه الله سبحانه وتعالى بذلك "هو الذي بعث في ألاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبله لفي ضلال مبين" الجمعة/٢.

فمن وظائفه (ﷺ) تعليم العلم، والتزكية، وتلاوة الكتاب على أصحابه، ولذا لم يكن (ﷺ) يخرج أقواما ،يحفظون المسائل فقط، بل ربى أصحابه تربية علمية وتربية جهادية وقيادية وادارية، وقبل ذلك كله تربية إيمانية(م.ن-ص ٢٥).

ثالثاً: عناية بتعلم المنهج العلمي:-

فانه في تربيته العلمية لأصحابه، ما كان يقتصر على تعليم اصحابه مسائل علمية فحسب –بل ربى علماء ومجتهدين- وحملة العلم للبشرية. ولقد ظهرت اثار هذه التربية على صحابته في مواقفهم بعد وفاته من حادثة الردة، وجمع القرآن، واتخاذ السجون، وغير ذلك من المسائل التي اجتهد فيها صحابته، فلم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام النوازل التي واجهتهم، واستطاعوا ان يتوصلوا للحكم الشرعي. (م.ن-ص٢٥).

ومن معالم تعليمه المنهج العلمي

أ. كان يعودهم على معرفة العلة ومناط الحكم:-

فكلما سئل عن الرطب بالتمر، قال (أ ينقص الرطب إذا جف) قالوا:- نعم، قال:- (فلا إذا)[١] ، وقد كان معلوماً له (ﷺ) ولغيره ان الرطب ينقص إذا جف، لكنه اراد تعليمهم مناط الحكم وعلته. (٥٣-ص٢٦).

ب كان يعودهم على منهج السؤال وآدابه:-

حيث يقول (ﷺ) (الا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال)[٢]. ولا يمكن ان يخلو متعلم من السؤال والحاجة اليه، ومن هنا كان عليه ان يتعلم متى يسأل؟ وعم يسأل؟ وكيف يسأل؟ وهو منهج سعى لتأكيده (ﷺ) وتعليمه لأصحابه (م.ن-ص٢٧).

ج. كان في أجابته لا يقتصر على موضع السؤال فحسب بل يجيب بقاعدة عامة:

فقد سئل رسول الله (ﷺ): ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال: (لا يلبس القميص ولا البرانس، ولا السراويل، ولا شيئاً مسه زعفران أو درس)[٣]

فلم يعدو له ما يجوز للمحرم لبسه إنما أعطاه قاعدة عامة فيما يحل للمحرم لبسه ليعلم ان ما سواه غير محظور. (م.ن-ص٢٧) .

د. تربيته لأصحابه على منهج التلقي

حيث قال (ﷺ) في وصف الطائفة الناجية: (من كانوا على مثل ما انا عليه اليوم وأصحابي)[٤]

فهو هنا يسن لهم الطريق، وحين يرى خللاً في هذا المنهج، أو اعوجاجاً فيه فأنه أخذ بيد صاحبه، فحين رأى مع عمر صحيفة من التوراة غضب، ونهاه عن ذلك، وقال (لو كان اخي موسى أخي حيا ما وسعه الا إتباعي)[٥].

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦)

(٢) رواه ابو داود (٣٣٣) وابن ماجة (٥٧٢)

(٣)رواه البخاري (١٥٤٣) ومسلم (١٧٧)

(٤) رواه ابو داود

(١) رواه احمر (٣٧٨/٣) والدارمي (١١٥/١)

ان المعلم الحق هو الذي يعطي المتعلم الأداة التي يصل من خلالها إلى النتيجة بنفسه، لا الذي يعوده في كل مواطن يملي عليه موقفاً محدداً(٥٣-ص٢٨)

هـ. تربيتهم على منهج التعامل مع النصوص:-

ان التعامل مع المصادر الشرعية دون سواها، ليس نهاية الطريق، انما هو مرحلة مهمة وأساسية، ويبقى بعد ذلك كيفية التعامل مع هذه المصادر، وهو ما سلكه (ﷺ) في تعليم أصحابه وتربيتهم.

خرج رسول الله (ﷺ) على أصحابه وهم يتمارون في القدر، هذا ينزع آية وهذا ينزع آية فغضب حتى كأنما فقيء في وجهه حب الرمان من الغضب، وقال (ابهذا أمرتم؟ ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم)[١] (م.ن-ص٢٨).

فما أحوج المعلمين والمدرسين والمربين إلى الإقتداء بهذا المنهج فيربون طلابهم على تعظيم النصوص، وإجلال كلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله (ﷺ).

فيجب على المدرسين ان يعلموا طلابهم ان المسائل الشرعية التي تثبتت بالنص لا نقاش فيها.

و. تعودهم على الاستنباط:-

سأل رسول الله (ﷺ) اصحابه يوماً، فقال:- (من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، ومثلها المسلم، فأخبروني ما هي؟) قال ابن عمر –راوي الحديث- فذهب الناس في شجر البوادي، وذهبت إلى انها النخلة، وكنت اصغر القوم فاستحيت، فقال (ﷺ) (انها النخلة)[٢] (٥٣-ص٢٦).

علمنا الرسول (ﷺ) من خلال هذا النص لا نقف عند حفظ المسائل المجردة، وانما علمنا على التفكير والتحري والاستنباط.

ي. تعويدهم على المناقشة والمراجعة :-

---

(٢) رواه احمر (١٩٦/٢) وابن ماجه (٨٥) وقال في الزوائد: (هذا إسناد صحيح)

(١) رواه البخاري (٧٢)

حيث قال النبي (ﷺ): (من حوسب عذب) قالت عائشة: أو ليس يقول الله تعالى "فسوف يحاسب حساباً يسيرا" قال: (انما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك)[1].

فالقضية ليست سلوكاً ذاتياً لعائشة وان كان ذاك محل تقدير واحترام بل هو مما تعلمته واعتادته من المعلم الأول (ﷺ) (م.ن-ص٣٠).

رابعاً: تربيته لأصحابه على القيام بواجب التبليغ:-

نجد اثر هذه التربية في قول أبي ذر (رضي الله عنه) (لو وضعتم الصمصامة (السيف) على هذه –وأشار إلى رقبته- واستطعت ان أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ﷺ)، قبل ان تجيزوا علي لأنفذتها)[2].(م.ن-ص٣٠).

فقد أمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بان يبلغوا عنه ويروا ما جاء منه ليتعلم الناس أخلاق الرسول وأمور دينهم ودنياهم.

خامساً: تشجيع المتعلم والثناء عليه

كان رسول الله (ﷺ) يشجع المتعلم ويثني عليه ليكون دافعاً له لمزيد من الحرص والاجتهاد والعناية.

فحين سأل ابي بن كعب: (ابا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم؟) فقال ابي ("آية الكرسي). قال رسول الله (ﷺ) (ليهنك العلم ابا المنذر)[3] فالأمر قد لا يعد كلمة ثناء، أو عبارة تشجيع، تنقل الطالب مواقع ومراتب في سلم الحرص والاجتهاد. والنفس ايا كان شأنها تميل إلى الرغبة في الشعور بالإنجاز. ويدفعها ثناء الناس خطوات أكثر. (٥٣-ص٣٣).

سادساً: مراعاته للفروق الفردية:-

---

(٢) رواه بخاري (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦)

(٣) رواه البخاري/ تعليقاً كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل.

(١) رواه مسلم (٨١٠) واحمد (١٤٢/٥)

كان رسول الله (ﷺ) يخطب فدخل رجل فقال يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه، فترك (ﷺ) خطبته ودعا بكرسي فجلس يعلمه ثم عاد لخطبته[١].

فالناس معادن وقدرات، وطاقات متفاوتة، حرصاً، وذكاءاً واستعداداً وتحصيلاً. (م.ن-ص٣٥).

وبما ان المدرس أو المعلم يتعامل مع الجميع ويخاطب كل المتعلمين فيجب عليه ان يكون ما هراً في إقناع الجميع وان يحقق التوازن بينهم، فعلى المدرس ان يعرف تفكير وقدرة تلاميذه ليستطيع ان يتعامل معهم ويقرب الفائدة إلى أذهانهم، فيفهم كل واحد بحسب فهمه وحفظه، فلا يعطيه ما لا يتحمله، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة.

سابعاً: استعمال الوسائل التعليمية:-

فالرسول (ﷺ) يشير تارة كقوله (انا وكافل اليتيم كهاتين)[٢] واشار بإصبعيه السبابة والوسطى.

وتارة يضرب المثل كقوله (ﷺ) (لله افرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على دابته وقد أضلها في أرض فلاة وعلها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت، فقام فإذا هي عند رأسه)[٣]

وتارة يستعمل الرسم للتوضيح، فقد خطَّ خطاً مستقيماً، والى جانبه خطوط، وقال (هذا الصراط وهذه السبل)[٤].

وأحيانا يحكي قصة واقعية من الأمم السابقة، كما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدعوا الله بصالح أعمالهم[٥].

---

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) رواه البخاري (٥٣٠٤)

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤)

(٢) رواه البخاري (٦٤١٧)

(٣) رواه البخاري (٣٤٦٥) ومسلم (٢٧٦٦)

وأحيانا يربط المعنى المعقول بالصورة المحسوسة. فقال لعلي(عليه السلام) (قل/ اللهم أهدني، وسددني، واذكر بالهدي هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم)[١].

فاستعماله (صلى الله عليه واله وسلم) لما اتيح في عصره من وسائل ، يعني لنا ان من تمام الاقتداء به ان نستعمل خير ما تفتق عنه العصر من وسال واساليب حديثة ي التربية والتعليم ، ما دامت مباحة .(٥٣-ص٤٠).

ثامناً: مراجعة العلم والحفظ:-

فقد اوصى (ﷺ) حفاظ القرآن بتعاهده والعناية به (تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)[٢]

وكان جبريل يدارسه القرآن في رمضان. (م.ن-ص٤٠).

من خلال هذا الاستعراض في منهج الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في التربية والتعليم، نجد ان رسول الله (ﷺ) كان يشيد دوماً بفضل المعلمين ومنزلة العلماء ومكانة العلم، فهو قوام الدنيا وقوام الدين حيث يقول (ﷺ) "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[٣]

وبذلك فهو (صلى الله عليه واله وسلم) قد قدم صوراً ينبغي للمعلم أو المربي الأخذ بها لأنها الأساس الصحيح في التربية والتعليم فهي قد صدرت من خير البشر والمعلم الأول ، إضافة فأنها تتفق مع الأساليب المتبعة في أنظمة التعليم كافة.

---

(٤) رواه مسلم (٢٧١٥)

(٥) رواه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١)

(١) أخرجه ابو داود في سننه: ٦٥٩/١ كتاب الوصايا باب ما جاء في الصدق عن غيث برقم ٢٨٨٢، أخرجه مسلم في صحيحه: ٧٣/٥ كتاب الوصية باب ما يلحق الانسان من ثواب بعد وفاته

المدرسة في الإسلام

أ. **مفهوم المدرسة .**

ب. **الدراسة والتدريس في الحضارة العربية الإسلامية.**

أ. **مفهوم المدرسة:-**

المدرسة لغة: موضع الدرس (١٠٢-ص١٩٢).

ولذا تطلق على الموضع الذي يدرس فيه القرآن الكريم وغيره ويتعلم فيه الطلبة، سميت به لكثرة الدرس فيها. وجمعها (مدارس) (١٧-ص٢٧٦).

والدرس: مصدر، يقال درس الكتاب يُدرسهُ، ويدرسهُ درساً: أي قراءة (١٠١ص٧٠٢) واقبل عليه ليحفظه. ودَرَستُ الكتاب أدرسه درساً: أي ذللته بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليّ. (١٢١-ص٧٩).

والدرس: درس الكتاب للحفظ، ودرس دراسة، ودارست فلاناً كتاباً لكي احفظ. (٩٦-ص٢٢٧).

قال تعالى "وَدَرِسَوُا ما فيه" الأعراف/١٦٩ أي قرءوا ما فيه. (٢٠-ص٢١٠) (٦٧-ص١٥٠).

وقال تعالى "وان كنَّا عَنْ دَراستهم لغافلينَ" الأنعام/١٥٦.عن قرائتهم.(٧٦-ص٩٤).(٢٤-ص٤٦٨) (٦-ص٦).

ودراسَة مُدارسة: قرأ كل منهما على صاحبه(١٧-ص٢٧٦)، ومنه قوله تعالى "وليقولوا دَرَسْت(سورة الانعام /اية ١٠٥)، إذ قرأها عبد الله بن كثير الداري (ت١٢٠هـ/٧٣٧م) وابو عمرو زبان بن العلا البصري (ت١٥٤هـ/٧٧٠م) قرأها كل منهما (وليقولوا دارست)(٥٨-ص٢٦٤)(١٨-ص٢٦٤)، أي دارست أهل الكتاب (٨٩-ص٢٥٦). بمعنى قرأت عليهم وقرأوا عليك وذاكرتهم وذاكروك(١٣٢-ص١٩٧).

في حين قرأها عاصم بن أبى النجود الاسدي (ت١٢٧هـ/٧٤٤م)، وحمزة بت حبيب الزيات (ت١٥٦/٧٨٥ م)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٥/٨٠٥م)، قرأها

كل منهم: (وليقولوا درست)(٥٨-ص٢٦٥) (١٨-ص٢٦٤)، أي قرأت الكتب السابقة(١٣٢-ص١٩٧) ، أو قرأت عليك فقراتها وتعلمتها[٧٧-ص٣٠٣-٣٠].

وفي الحديث الشريف: (تدارسوا القرآن)[١-ج٢-ص١١٣]، أي اقرؤوه وتعهدوه لئلا تنسوه(١٠٩-ج٨-ص٢١٥).

والمدْراس: الموضع الذي يدرس فيه(١-ج٢-ص١١٣)(١٢١-ج٦-ص٨٠) أو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن الكريم(١٢١-ج٦-ص٨٠)(١٠١-ج١-ص٧٠١)(٥٧-ج٤-ص١٥٠).

نستنتج من كل ذلك ان لفظ (المدرسة) يطلق على المواضع التي تتلى فيها الدروس وتنشط فيها مدارسة المتون والكتب، ومذاكرة العلوم والمعارف، ولذا فانه يصح اطلاقه على المباني والمنشآت المخصصة لذلك.

ب. الدراسة والتدريس في الحضارة العربية الإسلامية:-

لما كانت مدرسة النجف الاشرف أحدى ركائز الحضارة العربية الإسلامية فان البحث فيها يتطلب التعريف بمعالم الدراسة والتدريس في التاريخ العربي الاسلامي، وذلك من خلال:

أولاً: التعريف بالأماكن التي تم فيها التعليم في التاريخ العربي الإسلامي ليتضح لنا ان مدرسة النجف الاشرف عي احدى حواضر الأمة العلمية ومراكزها الثقافية على امتداد الف عام قد اتبعتفي منهاجها مناهجها التعليمية المعالم الأساسية المتبعة في تلك المؤسسات.

ثانياً: دراسة أهداف التعليم، وآدابه، التي تضمنتها كتب العلماء والمربين العرب المسلمين، والتي تبنتها المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية وبضمنها مدرسة النجف الاشرف.

ومن ضمنها:

أولاً: أبرز الاماكن التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية وهي

أ. البيوت

ب.المساجد

ج. الكتاتيب

د. منازل العلماء

هـ.حوانيت الوراقين

و.القصور

ي.المكتبات

ز. المدارس

ثانياً: اهداف التعليم وآدابه في التاريخ العربي الاسلامي:-

أ. اهداف التعليم في الحضارة العربية الإسلامية

ب. آداب التعليم:

١. آداب الشيخ

٢. آداب الطالب

٣. آداب الدرس

أولا: الأماكن التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية:-

ان من اوليات الإسلام ريادة الحركة العلمية وتكوين العقلية الثقافية للإنسان المسلم على أسس علمية بعيدة عن الخرافات والأساطير وصولاً إلى بناء المجتمع الإسلامي (الحضاري) المؤلف من المؤمنين ذوي البصيرة والأيمان القائم على العلم والوعي.

إذ بين القرآن الكريم في آياته العظيمة فضل العلم والحث على طلبه مشيراً إلى أهميته لتحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

للقرآن الكريم الفضل الاكبر في انتشار التعليم والحث على تعلم العلم فصار القرآن العظيم أصل التعليم في العالم الإسلامي(١٠٦-ص٨٩).

فأول آية انزلت من القرآن الكريم تحث على القراءة(٥٤-ص٦). قال تعالى" أقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"( )

فنزول هذه الاية كأول آية في القرآن تعني ان القرءة بداية الاطار الفكري في الإسلام، ولذلك فقد احتوت معاني تعجز مؤلفات كبيرة ضخمة عن ان تستوعبها معاني عن القراءة والدراسة المتمنعة لأمور الحياة كلها ومعاني عن العلم، ومعاني عن التعليم لما يجهله الإنسان ومن التعليم بالقلم كأداة للكتابة والتسجيل، وعن مهارات الإنسان التي تميز بها عن غيره من المخلوقات حينما يمسك بالقلم ليكتب ويتعلم، ويدون كمهارة أساسية للعلم والتعليم والتربية التي لا تتمتع بها الإنسان من المخلوقات.

وايضــاً قولــه تعــالى" يرفــع الله الــذين آمنــوا مــنكم والــذين اوتــوا العلــم درجات"المجادلة/ايـة١١ وقولـه تعـالى "قـل هـل يسـتوي الـذين يعلمـون والـذين لا يعلمون" الزمر/٩. كما أكدت السنة النبوية الشريفة مضامين الآيات الكريمة في كثيــر مــن المناســبات، منهــال قولــه (ﷺ): (انمــا بعثــت معلمــاً)[١] (١٠٨-ج١-ص٨٣(٢٥-ص٣٠٦) (٨١-ص٨٩).

وقولـه (ﷺ) (طلـب العلـم فريضـة علـى كـل مسـلم)[٢] (٧٢-ص٢-٣) (١٠٧-ج١-ص٣٠)(١١٨-ص٢٨).

والمراد بالعلم هنا كل علم نافع يرفع من قدر الإنسان وينمي عقله، ويجعله أكثر خبرة بالحياة وإطلاعا على أحوالها (٧٨-ص٤٥) وكان ذلك دافعاً قوياً للمسلمين لتدارس العلوم منذ عصر الرسول (ﷺ) بتشجيع منه (ﷺ) الذي كان معلمهم الأول، فأتخذ لم مواضع يتدارسون فيها العلوم وشيدوا المؤسسات الثقافية لتطوير الحركة الفكرية، والتي كان أبرزها:

أ. البيوت:-

يعتبر البيت أول مكان للتعليم في الإسلام، وكان بيت النبي (ﷺ) مقراً للتعليم، ودار الأرقم بن أبي الأرقم الذي كان رسول الله (ﷺ) يلتقي مع الصفوة من المسلمين ويعلمهم القرآن الكريم والدعوة الإسلامية مع الاحتراس والحرز إلى ان تشق الدعوة طريقها نحو غايتها المرتقبة المأمولة. (٤٠-ص١٤٨).

ب. المساجد:-

المسجد: هو الموضع الذي يسجد الناس فيه، (٩٦-ج٦-ص٤٩)
(١٢١-ج٣-ص٢٠٤)(١٧-ص٣٩٧) وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد

---

(١) (ابن ماجه، السنن، ٨٣/١)، (ابو نعيم/ حلية الأولياء /١٦٤/٤) (البهيقي/ المدخل إلى السنن الكبرى /٣٠٦) والطيالسي/ مسند الطيالسي، ٨٩

(٢) (ابن ماجة /السنن/٨١/١)

(١٢١-ج٣-ص٢٠٤)(١٧-ص٣٩٧) .

وقيل اسم لموضع العبادة سجد فيه ام لم يسجد (١٧-ص٣٩٧) وعندما هاجر الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة، فبنى مسجده في مربد سهل وسهيل ابني عمرو من بني النجار بعد ان اشتراه منهما بعشرة دنانير.(٥٩-ج١-ص٢٣٩)(٧٥-ج١-ص١٥٨)(١٠٥-ج٣-ص١٩٩)(٧٦-ج٢-ص٨)(٨٥-ص٨٧). فأصبح أول مركز عبادي، ومقر قيادي وصرح حضاري يتعلم فيه المسلمون أصول دينهم وعلوم شريعتهم وآداب لغتهم وعبر تاريخهم، وأدوات ذلك من قراءة وكتابة. (٨-ج١-ص١٩٨)(٧-ص١١).

وبذلك اصبح المسجد المعهد الأول لنشر العلم في العالم الاسلامي، وغدت المساجد مراكزاً تهذيبية وتعليمية يؤمها المسلمون للتزود بالمعارف منذ عصر الرسالة. (٨-ج١-ص١٩٨)(٧٨-ص٦١-٦٣)(٧-ص١١-١٢)
(٩٩-ص٦٥).

فكانت تعقد فيها حلقات الدرس والمناظرة والوعظ والارشاد.(٩٩-ص٦٥) ودرست ونوقشت في هذه الحلقات العلوم الإسلامية – تلاوة وتفسير القرآن الكريم وعلومه، ورواية الحديث الشريف وعلومه، وعلم الفقه، وعلم الكلام والعقيدة وعلوم العربية (اللغة، والبلاغة، والنقد الادبي، والشعر، والأدب، وما يتعلق بها)

(٧-ج١-ص١٩٨) وتناقل المرويات التاريخية وتاريخ العرب وأيامهم وأخبارهم، وتاريخ الأمم والأنبياء والملوك وأخبارهم (٧٨-ص٦٢).

وقد اتخذ بعض الشعراء احياناً من المسجد مكاناً لرواية الشعر (٥٥-ج١-ص٨٩)(٨-ص١٣) ودرست في المسجد ايضاً العلوم الصرفة، كما يذكر السيوطي (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م) (ان القرآن والطب والميقات كانت تدرس في الجامع الطولوني –في القاهرة- فضلاً عن دروس التفسير واللغة. (٦٦-ج٢-ص١٣٨) .

وتمكنت المساجد من المحافظة على دورها التعليمي، وضلت رافداً مهماً للثقافة والفكر العربي الاسلامي منذ عصر صدر الإسلام وحتى العصر الحديث.

ج. الكتاتيب:-

الكتاتيب: جمع الكتاب، وهو موضع تعليم الكتاب[١٢١-ج١-ص٦٩٩]، أو مجمع صبيانه[٩٦-ج٥-ص٣٠٤١]، والمكتبُ: موضع تعليم الكتابة[١٠٢-ج٢-ص٥٢٥]، والجمع: كتاتيب[١٠١-ج١-ص١٦٥]، والمكتب: المعلم[٩٦-ج٥-ص٣٤١][١٢١-ج١-ص٦٩٩]، قال المبرد (ت:٢٨٥هـ /٨٩٨م): المكتب: موضع التعليم، والمكتب: المعلم، والكتاب: الصبيان، قال: ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ[١٢١-ج١-ص٦٦٩] فقول الجوهري (ت:٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) (الكتاب والمكتب واحد)[٣٢-ج١-٢٠٩] غلط[١٠١-ج١-ص١٦٥].

وقد أهتم العرب بـ(الكتاتيب) منذ عصر ما قبل الإسلام، فكان الطفل العربي في عصر ما قبل الإسلام يلقن في الكتاتيب مبادئ القراءة والكتابة[٧٨ـــص٦٦]، ولكن على نطاق ضيق وفي الحواضر العربية[٢٣-ص٤٥٩].

ان الحاجة إلى الكتاتيب كمؤسسات للتعليم الاولي قد ازدادت بظهور الإسلام وذلك لان متطلبات الدعوة الإسلامية كانت تستلزم نشر التعليم، بما فيه التعليم الاولي، ولذا شجع رسول الله (ﷺ) المسلمين على التعلم والتعليم[٩٩-ص٦٠]، فارسل مبعوثه الأول إلى المدينة المنورة الصحابي مصعب بن عمير (٣٧ق.هـ-٣٠هـ /٥٨٦-٦٢٥) معلماً لأهل المدينة (٥٩-ج١-ص٢٢٠).(٧٦-ج١-ص٥٥٩)(١٠٥-ج٣-ص١٤٩)(٦٣-ج١-ص٤٦)

وقد ازدادت الكتاتيب وانتشر التعليم في انحاء الدولة العربية الإسلامية بأطراد منذ عصر صدر الإسلام.

وكان الأطفال يتعلمون في الكتاتيب في ظل الدولة العربية الإسلامية القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والنحو واشعار العرب وقراءة القرآن الكريم وحفظه ومبادئ الدين الإسلامي وإحكامه. (٨-ص١٦)(٩٩-ص٦١) وبعد ان يكمل التلاميذ تعليمهم في الكتاتيب ينصرف إلى تعلم العلوم من يريد اكمال دراسته منهم (٩٩-ص٦٠).

د. حوانيت الوراقين:-

نتيجة لانتشار الورق واستخدامه في ارجاء البلاد الإسلامية، كثرت الكتب، واصبحت عملية اقتنائها سهلة للراغبين فيها، فظهرت المكتبات وحوانيت الوراقين. وهذه الحوانيت ساهمت مساهمة فعالة في نشر العلم والمعرفة إذ لم يكن غرضها تجارياً صرفاً، بل كانت اماكن مناسبة لاجتماع الادباء ومحبي المعرفة، تثار فيها المناقشات والتي غالباً ما تتحول إلى ندوات علمية تطرح فيها مختلف الآراء حول الموضوع الواحد. (٣٩-ص٦٩) وقد انتشرت هذه الحوانيت في العواصم والبلدان المختلفة، ومارس الوراقون مهمة نسخ الكتب المهمة وعرضها للراغبين فيها (م.ن-ص٦٩).

هـ. القصور:-

اتخذ الخلفاء والأمراء قصورهم أماكن لتعليم أبناءهم بإشراف معلمين خاصين يذهبون إلى القصور لتزويد الأولاد بقدر من الثقافة والمعرفة التي تؤهلهم لتحمل الأعباء التي سينهضون بها. وكان الأب هو الذي يضع المنهج المقرر لتعليم ابنه أو يشارك في وضعه وتخطيطه. وقد أطلق على المعلم الخاص الذي توكل اليه مهمة تعليم ابناء الخلفاء والأمراء والأغنياء اسم (مؤدب).(م.ن-ص٦٩)

و. المكتبات العامة:-

انشأ الخلفاء والملوك والأمراء مكتبات خاصة ألحقت بقصورهم، وكان البعض من هذه المكتبات يطلق عليه (مكتبات بين الخاصة والعامة) كمكتبة الناصر لدين الله وقد ضمت هذه المكتبات التي تسمى آنذاك بـ(الخزائن) كتباً نفيسة ومخطوطات نادرة في موضوعات الدين والآداب والمنطق والفلك والفلسفة، وغيرها من العلوم الاخرى. ومن اهم هذه المكتبات:-

١. دار الحكمة بالقاهرة التي إنشاءها الحاكم بأمر الله الفاطمي عام ٣٦٥هـ
٢. المكتبة الحيدرية في النجف

٣. مكتب أبن سوار في البصرة، أسسها احد رجال عضد الدولة (٣٩-ص٧٠-٧١).

ي. المدارس:-

لعبت المدارس دوراً رياديا في التعليم ابان حقب التاريخ العربي الاسلامي وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في تاريخ ظهورها فيها، الا اننا نجد ان اقدم النصوص الادبية التي ورد فيها ذكر(المدرسة) بمعناها الاصطلاحي في التراث العربي هو قول الشاعر العربي دعبل ابن علي الخزاعي (١٤٨-٢٤٦هـ) في رثاء أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

مدارس آيات خلتْ من تلاوةٍ

ومنزلُ وَحْيٍ مقفرُالعرصات

(٤٥-ص٣٦)

ويقصد بالمدرسة بمعناها الاصطلاحي الامكنة التي كانت تقام لإقراء القرآن الكريم. وتدارس احكام الشريعة الإسلامية وعلومها. (٧٨-ص١٢٢).

والمدرسة كمؤسسة تعليمية وثقافية قد تطورت عن دور العلم ودور الكتب والتي اتسع نشاطها العلمي منذ القرن الثالث الهجري بل قبله، إذ ازدهرت النشاطات العلمية لـ(بيت الحكمة) في خلافة المأمون العباسي، وغدت دار العلم التي شيدها سابور بن اردشير مدرسة للفقهاء وطلبة العلوم حتى قال عنها ابن كثير (ت:٧٧٤هـ/ ١٣٧١م) (بأنها أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة)(١٠٥-ج١-ص٣١٢) وكانت دار العلم التي شيدها الشريف الرضي مدرسة متكاملة ذات قسم داخلي، فهي دار علم ودراسة ومكتبة وسكن للعلماء والطلبة(٣٧-ص٤٧)(٩٩-ص٩٨).

وقد تكامل تطور المدارس هندسة ومنهجاً بتشييد نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد(٧٨-ص١٢٦) والتي تأسست في سنة (٤٥٧)هـ وبلغ ذروته بتشييد الخليفة

العباسي المنتصر بالله (٥٨٨-٦٤٠هـ/ ١١٩٢-١٢٤٢) المدرسة المستنصرية في بغداد والتي افتتحت للتدريس سنة ٦٣١هـ ١٢٣٤م[٨-ص٦٧].

اما العلوم التي كانت تدرس في المدارس العربية الإسلامية منذ تشأتها فهي: علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف وروايته، وعلم الفقه، وأصوله، وعلم الكلام، وعلوم اللغة العربية من: النحو والصرف واللغة والعروض والبلاغة والآدب العربي شعراً ونثراً والحساب، علماً بأنه يختلف الأمر في تدريس هذه المواد توسعاً وانكماشاً من مدرسة لأخرى، ومن وقت لآخر[٨-ص١٤٥].

وقد توسع العلماء والأساتذة في تدريس هذه العلوم بزيادة المطالب العلمية المدروسة وبمناقشة الأراء المختلفة وعرض مضامين المؤلفات الصادرة ومناقشتها[٨-ص١٤٨-١٥٠].

كما درست علوم اخرى في بعض المدارس الإسلامية فمثلاً درست علوم: الجبر، والهندسة، والطب والفلسفة، والصيدلة، وعلم الحيوان، في المدرسة المستنصرية[٣-ص٢١٢].

اما طريقة التدريس المتبعة في المدارس العربية الإسلامية فكان قوامها ان يبين الاستاذ لطلبته المطلب العلمي موضوع الدرس وذلك بقراءته وأملائه عليهم وشرحه لهم، وذكر المسائل المتعلقة به، ومناقشة آراء العلماء فيها، والترجيح فيما بينها، معززاً أقواله بالامثلة والشواهد، ليقربها إلى ذهن الطالب مع مناقشة الادلة والمدارك، ثم بعد ذلك يفتح باب الحوار والمناقشة مع طلبته فيسألهم مستعلما عن ما استوعبوه، ويسألونه مستفهمين عن ما اشكل عليهم، وكانوا يكتبون ما يمليه عليهم شيخهم[٨-ص١٤٨-١٥٠)(٩٩-ص٢٣].

نستنتج من ذلك ان العرب المسلمين قد اهتموا بحقل التربية والتعليم منذ عصر صدر الإسلام، فأقاموا المؤسسات الخاصة بذلك والتي كان من ابرزها:

المساجد: التي خرجت أعلام الامة ومجتهديها منذ صدر الإسلام.

الكتاتيب: التي مارست نشاطها في التعليم منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث.

المدارس: التي أسست لتكون مواضع خاصة لتدارس العلوم، بعد ان ازدادت المعارف وتطورت الأفكار وتشعبت الثقافات فأتسع نشاط الحركة العلمية.

وقد درست علوم الدين واللغة والعلوم العقلية/ الصرفة والإنسانية وفق منهجية تتمثل بـ:

١. الشرح والاملاء.
٢. القراءة على الشيخ.
٣. المناقشة الحرة.
٤. الأخذ بالراجح وتبيين المرجوح.

ثانياً: أهداف التعليم وآدابه عند العرب المسلمين

كان العرب المسلمون يبغون من التعليم تحقيق أهداف ثلاثة:

الأول: الهدف الديني: ويتمثل بإبراء ذمة المكلف بوجوب تحصيل العلم بأحكام الشريعة. وصولاً إلى نيل مرضاة الله تعالى وجزيل ثوابه(١٠-ص٩٠)(٧٨-ص١٤٢)(٨٠-ص١٤٢).

فضلاً عن امتثال الأوامر والنواحي الإلهية واعتناق العقائد الحقة ودفع الشبهات يتوقف على معرفة الدين الحنيف أوصولاً وفروعاً، ولا تتحقق معرفة ذلك معرفة كاملة راسخة الا بالتعليم.(٨٠-ص٥٨)(٧٨-ص١٤٢).

ثانياً: الهدف الدنيوي: ويتمثل بالتعليم الذي يحقق للمسلمين في حياتهم مغانم جمة، لانه يؤدي إلى تطور حضاري وتقدم مطرد في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة، الامر الذي ينعكس ايجابياًُ على النشاط الاقتصادي فيحقق رفاهاً مادياً للفرد وللمجتمع، كما انه من الطرق المشروعة لكسب المال الحلال الذي تبيحه احكام الدين الحنيف(٨٠-ص٥٨)(٧٨-ص١٤٢).

ثالثاً: الهدف العلمي: يتمثل ببلوغ اللذة الروحية من العلم، وهو هدف يدفع صاحبه إلى التعلم والبحث لا لشيء سوى الاكتفاء بلذة البحث عن الحقيقة وبلوغ اعماق المعرفة والاطلاع على حقائق الكون والحياة واسرار الموجودات، فضلاً عن اشباع رغبة الإنسان وفضوله في معرفة ذلك(٨٠-ص٥٨) (٧٨-ص١٤٢).

آداب التعليم:-

التعليم باعتباره رسالة إنسانية وتربوية واجتماعية تتيح للفرد الفرص الممكنة لمساعدته على النمو في جواب شخصيته المختلفة من اجل تحقيق أقصى تكيف مع ظروف الحياة المتغيرة والمتطورة بما استقاه من معلومات وما اكتسبه من خبرات ومهارات لاستخدامها لمواجهة تحديات البيئة التي تحيط به.

وفي هذا الإطار فان التعليم في الإسلام يقدم في موضوعاته على أسس علمية تضرب جذورها في أعماق الحضارة العربية الإسلامية.

وقد عني العلماء المسلمون في المسائل والأصول التي اتسمت بالشمول والعمق مرتكزة على العلم ومقوماته، باعتباره هو سبيل الإنسان المسلم المؤمن في الحياة.

لكل هذا فان هناك شروطاً مهمة لابد من تحققها لأحداث موقف تعليمي سليم وصحيح، يحدث من النتائج وما هو مطلوب ومرغوب فيه وان هذه الشروط تتصل بالشيخ المعلم نفسه ومنها ما تتصل بالمتعلم ومنها ما تتصل بالدرس.

فكل من هذه العناصر له شروطه وأصوله وآدابه.

أولاً: ما يتعلق بآداب الشيخ:

لقد شاع في الفكر الاسلامي انه يطلق على المعلم مصطلح الشيخ احتراماً وتقديراً وتقديساً لرسالته، ومن هنا صار لزاماً على الشيخ المعلم ان يتحلى بصفات معينة اهمها:

١. ان يبذل عند وجوده المستحق له، فلا يمتنع عن تعليم احد ان كان أهلاً للتعليم (٨٥-ج١-ص١٤٦) فيجب على المدرس مراعاة مستوى الطالب واستعداده لتقبل العلم، فأنهم لا يلقون البذرة الا في تربة خصبة قابلة للانبات وهكذا هو العلم فلابد له من متلقي مستعد للتعلم.

٢. ان لا ينتصب للتدريس حتى يظهر استحقاقه لذلك بان يكون محصلاً للعلوم مستكملاً عدة التدريس بشهادة أفاضل أساتذة وكبار علماء عصره. (م.ن-ص١٦٤)

فلا يتصدى أي انسان للدرس والتعليم دون مؤهلات تجعله اهلاً للتعليم فلابد ان يسعى في طلب العلم وتحصيله ولابد من ان يشهد لهم بذلك.

٣. ان بعمل بعلمه (٨٥-ج١-ص١٤٦)

وذلك ليكون قدوة حسنة لمجتمعه وليحيل علمه إلى عملٍ ينفع الفرد والمجتمع.

٤. ان يصون العلم فلا يذله ببذله لغير أهله. (٨٤-ص١٣١ص١٧٩) لان العلم أمانة والله تعالى يحاسبه عليها.

٥. ان يلين للمتعلمين ويتواضع لهم ولا يتعاظم عليهم. (م.ن-ص١٣١ص١٧٩) فلابد للمعلم ان يكون محباً لطلبته محترماً لهم.

٦. ان لا يذهب إلى مكان المتعلم مهما كبر قدره، الا ان تدعوا اليه ضرورة، وتقتضيه مصلحة دينه. (م.ن-ص١٣١) فالعلم يسعى اليه ولا يسعى لأحد الا عند الضرورة.

٧. ان يكون مهذباً متديناً متحلياً بالاخلاق النبيلة كاظماً لغيظه حليما وقوراً رفيقا بطلابه، باذلاً وسعه في تفقيههم، وتقريب الفائدة من افهامهم واذهانهم، متفنناً في ذلك، خبيراً في انجح سبل ايصال المعلومات اليهم، بصيراً في تذليل صعاب المطالب ودقيق المسائل (م.ن-ص١٧٩).

٨. ان يفهم كل واحد من طلابه بحسب فهمه وحفظه، ولا يعطيه مالا يتحمله ذهنه، ولا يبسط الكلام بسطاً حتى لا يضعف نشاط الطالب عن التفكير. (م.ن-ص١٧٩) فيجب على المدرس ان يراعي الفروق الفردية والمستوى الخاص لطلبته فلا يكلفهم فوق طاقتهم.

٩. ان يزجرهم عن سوء الخلق وارتكاب المحرمات والمكروهات بطريق التعريض ما أمكن، لا بطريق التصريح، لان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة. (م.ن-ص١٧٩). فيستعمل المدرس وسائل التأديب التي تنبه الغافل وتعيده إلى رشده تلك الاساليب التي لا تخدش الحياء.

١٠. ان يحسن الشيخ خلقه مع جلسائه ويعاملهم حسب تقدمهم ومنازلهم في العلم (٨٥-ج١-ص١٤٦).

١١. ان يخرج الشيخ إلى الدرس كامل الهيئة والاهبة، مستكملاً ما يوجب له الوقار والهيبة. (م.ن-ج١-١٤٦).

فيجب على الشيخ او المدرس مراعاة جانب الوقار والحشمة مما يبعث احترام العالم في نفوس الآخرين.

١٢. إذا سئل عن شيء لا يعرفه، أو عرض له في درسه مالا يعرفه يجب عليه ان يقول: لا اعرفه، أو لاتحققه. اولا ادري حتى اراجع النظر فيه ولا يستنكف من ذلك. (م.ن-ج١-ص٤٤). فعلى المدرس ان لا يفتي بغير علم وان لا يستحي من قول لا اعرف

١٣. ان يحث الطالب على العلم وتحريضه عليه.

فان غرس حب العلم، والعناية به من الصفات المهمة التي ينبغي ان يتسم بها المدرس، وهي وصية يوصي بها المعلم من سلف من أهل العلم. قال الامام النووي (وينبغي ان يرغبه في العلم، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء، وانهم ورثة الانبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ولا رتبة في الوجود اعلى من هذه.(٥٣-ص٤٦).

ثانياً: آداب الطالب:-

لعل المسألة المهمة التي تتعلق بطالب العلم هي رغبته في التعلم واندفاعه للتحصيل فهو عامل رئيسي في تذليل جميع الصعوبات خلال مسيرته التعليمية، من هنا صار لزاماً على طالب العلم ان يتحلى بخصال معينة وصفات محددة وهي:

١. ان يواظب الطالب على حضور الدرس، وان يحضر مجلس الدرس قبل حضور استاذة، حاملاً كتبه وما يحتاجه من ادوات الكتابة. (٨٥-ج١-ص١٤٧) فلابد من ان يشعر شيخه بانه محب للدرس حريص على التعلم فهو يسعى إلى الدرس قبل موعده.

٢. ان يكون حريصاً على التعلم. (م.ن-ص١٤٧) فالطالب كلما كان حريصاً وراغباً في التعلم كلما كان استيعابه للمادة وثباتها افضل واسرع.

٣. عدم الاستنكاف من التعلم ممن هم دونه سناً أو نسباً أو مالاً (م.ن-ج١-ص١٤٧) فطلب العلم غايته الأولى والاخيرة، فلا يهتم بالسن أو النسب أو المال لان العلم لا يتحدد بهذه الامور.

٤. ان يكون غرضه من طلب العلم هو العمل لوجه الله تعالى ابتغاء مرضاته (م.ن-ج١-ص١٤٧) فلا يرجو شهرة او جائزة أو منصباً.

٥. ان يعتقد في أستاذه انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني. (م.ن-ج١-ص١٤٨) وهذا يوفر جواً تربوياً يساهم في عملية التحصيل العلمي وتيسير التعلم بين الشيخ وطلابه.

٦. تبجيل أستاذه في غيبته وحضوره، والتواضع له. (م.ن-ج١-ص١٤٨) فهو الذي يمده بأصول العلم والتعلم مما يجعل لزاماً عليه ان يحترمه في غيبته وحضوره فاحترامه احترام للعلم.

٧. المذاكرة بالمحفوظات وادامة الفكر فيها. (١٣٠-ص٤٤) التثبت من تحصيل المادة العلمية عن طريق مراجعتها واعادة قراءتها لتكون سلوكاً علمياً وتربوياً.

٨. عدم الاستحياء من السؤال عما اشكل عليه. (١٣٠-ص٤٤) فلا حياء في الدين والعلم، فغاية طالب العلم التعلم.

٩. التأدب مع زملائه الطلبة، وان يداوم على المذاكرة مع المجدين منهم (م.ن-ص٤٤) فلزاماً عليه، ان يراعي الخلق الكريم مع زملائه ورفاقه الطلبة، وان يستفيد من تجاربهم وتحصيلهم العلمي.

١٠. ان يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة، والعلائق المانعة تمام الطلب، وكمال الاجتهاد. (م.ن-ص٤٤) فيحاول الطالب ان يتفرغ لطلب العلم فلا يشغل نفسه بأمور تمنعه وتعيقه من مواصلة التعلم.

ثالثاً: آداب الدرس:-

ان للدرس آداب وضوابط يجب ان تراعى:

١. تلاوة القرآن الكريم والدعاء بالمأثور قبل الشروع بالدرس.
٢. عدم الجلوس في وسط حلقة الدرس، وامام الغير لغير ضرورة.
٣. ان لا يقرأ الطالب الدرس حتى يستأذن استاذه.
٤. تقديم الدروس المهمة والتي تكثر حاجة الناس اليها.
٥. الانتقال إلى دراسة الكتب المبسوطة والمحتوية على امهات المطالب وادق المسائل بعد اكمال دراسة المختصرات وضبط ما تضمنته من الفوائد والاشكالات. (٨٤-ص١٦٩-١٧٠). أي الانتقال من السهل والبسيط إلى الصعب المعقد.
٦. مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الدرس وتأخيره.
٧. تقديم دراسة العلوم الواجبة على غيرها، وذلك بمراعاة الاهم على المهم، فبقدم تدريس العلوم المفروضة فرض عين على العلوم المفروضة فرض كفاية والتي تقوم بدورها على العلوم المباحة.
٨. صيانة مجالس الدرس عن الغوغاء واللغط وسوء الادب.
٩. عدم المراء والسؤال تعنتاً وتعجيزاً
١٠. ان يتامل الساءل ما يريد ان يورده من اشكال أو يسأل عنه قبل ابرازه
١١. عدم تطويل الدرس تطويلاً مملاً او تقصيره تقصيراً مخلاً.
١٢. تنصيب نقيب للطلبة يكون فطناً كيساً لترتيب الحاضرين وتنبيه الغافلين، يعيد لمن اراد من الطلبة الدرس، ويرجعون عليه ما يستحون القاءه على الشيخ من مسألة اودرس.
١٣. تقديم الاسبق فالاسبق من الطلبة عند تزاحمهم في مجالس الدرس
١٤. الانقياد للحق بالرجوع عن الهفوة.
١٥. ان لا يتكلم احد في اثناء درس غيره بما لا يتعلق أو بما يقطع عليه

بحثه، واذا شرع احد في درس، فلا يتكلم بكلام في درس قد فرغ ولا بغيره مما لا تفوت فائدتة الا بأذن الشيخ وصاحب الدرس.

١٦. مراعاة النوبة في القرآة على الشيخ.

١٧. ختم الدرس بذكر شيء من الحكم والمواعظ والدعاء(٨٤-ص٢٠٤)

المبحث الثاني

الدراسات السابقة:-

ان الدراسات السابقة في أي بحث علمي في المقام الأول ان هناك محاولات مماثلة للبحث الحالي أو قريبة منه يمكن ان تكون اطاراً عاماً للبحث بالاستناد اليها في مجمل مجريات عمله من قبيل الاطلاع على نتائجها واكتساب المعرفة من طروحاتها المختلفة واجراء عملية المقارنة بين نتائج تلك الدراسات والدراسة الحالية.

وفي هذا الاطار سعت الباحثة جاهدة للحصول على دراسات سابقة على صلة بالبحث الحالي أو تحمل الفكرة نفسها، لكن لم تعثر على ذلك بشكل مباشر الا ان هناك كانت محاولتين أو بحثين يخصان الشيخ الطوسي، الأول بعنوان الشيخ الطوسي والثاني منهج الطوسي في التفسير. لذا فان موضوع البحث الحالي لم يتطرق له باحث سابق، مما يعد أول محاولة (على حد علم الباحثة) لبيان اساليب التدريس في مدرسة النجف العريقة والتعريف بمؤسسها الطوسي انموذجاً.

وجدير بالذكر ان البحثين السابقين لا يمسان الموضوع الحالي الا في بعض الجوانب التفسيرية، لذا سيقتصر اشارتنا اليهما بشكل موجز دون اجراء عملية مقارنة أو مناقشة.

١. دراسة: حسين عيسى الحكيم ١٩٧٥م.

اسم الدراسة: الشيخ الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن/ رسالة ماجستير

لقد كانت هذه الدراسة في ستة فصول يبحث الفصل الأول منها (عصر الشيخ الطوسي) وهو عصر مهم في تاريخ العراق السياسي والفكري، تعاقب فيه على الحكم البويهيون والسلاجقة في ظل الخلافة العباسية.

اما الفصل الثاني فقد تناول (حياة الشيخ الطوسي) العلمية في بغداد والنجف وانجازاته الفكرية في عهد أستاذيه: الشيخ المفيد والشريف المرتضى، وفي عهد

زعامته الدينية، وما تعرض له من مخاطر ومحن هددت حياته بالخطر، أولاً توفيقه في النجاة بنفسه وفراره إلى النجف، وقد استغل فترة مكوثه ببغداد، لتوثيق علاقاته بشيوخها ودور علمها ومكتباتها.

اما الفصل الثالث فتكلم فيه الباحث عن شيوخه وطلابه وركز الباحث في بحثه على دراسة كتاب (التبيان) الذي يعتبر من أمهات كتب التفسير وبين الباحث مصنفاته ووضح منهجه فيها وركز على الامور التي تتعلق بالفكر والتاريخ بصورة خاصة، وختم بحثه بوفاة الشيخ الطوسي ومدفنه وأولاده.

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم صورة دقيقة عن عالم بارز من أعلام الفكر العربي الإسلامي في القرن الخامس الهجري تميز عن معاصريه من قادة الفكر. خصوصاً في مجالات اختصاصه، بريادته في الكثير من الموضوعات التي عالجها، بالاضافة إلى موسوعيته التي اتاحت له الإسهام، باصالة وعمق في أكثر أبواب العلوم والمعارف الإسلامية المتداولة في عصره. (٣٧-الحكيم)

٢. **دراسة كاصد ياسر حسين الزيدي/١٩٧٥/ في القاهرة/ رسالة دكتوراه.**

اسم الدراسة: منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم.

استخدم الباحث فيها المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. وهي دراسة علمية جادة تناول فيها الباحث منهج الطوسي في تفسيره بموضوعية وتفصيل.

فقد تكلم الباحث عن حياة الطوسي وتفاسير الامامية قبله فتحدث عن التفسير المنسوب للامام العسكري وتفسير العياشي وفرات الكوفي، مبيناً منهج كل منهم. وتحدث ايضاً عن تفاسير الرضي والمرتضى.

ثم تحدث الباحث في الفصل الثاني عن مصادر تفسير الطوسي فقد رجع الطوسي إلى مصادر عديدة متنوعة، منها كتب معاني القرآن، وكتب في الحديث النبوي الشريف والسير، وكتب في القراءات والنحو واللغة، وبين الباحث في اثناء ذلك منهج الطوسي في الإفادة من هذه المصادر الكثيرة.

ثم تحدث الباحث في الفصل الثالث على مادة التفسير عند الطوسي، وهي النقل عن الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين، والنقل عن ألائمة، وتفسير القرآن بالقرآن،

والتفسير العقلي والتأويل وأخيرا ما في مادة التفسير من إسرائيليات، تكلم الباحث في الفصل الرابع عن القراءات واللهجات وكيف ان الطوسي اهتم بتدوين قراءات الصحابة والتابعين واهل البيت (عليهم السلام).

وكذلك بالقراءات العشر المشهورة وتوجيهها، بالقراءات الشاذة وتكلم أيضاً في الفصل الخامس عن اللغة والنحو وعلى تفسير الطوسي اللغوي للألفاظ القرآنية وشواهده اللغوية وآرائه النحوية. وتكلم الباحث ايضاً عن البلاغة وتفسير الطوسي فتوقف عند رايه في الأعجاز القرآني وبين مفهوم البلاغة عنده. (٦٠-الزيدي)